36 سلسلة الدروس الثقافيّة

مواعِظُ مِنْ نَهج البلاغة

مركز نون للتأليف والترجمة

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

مواعظُ مِنْ نَهجِ البلاغة

جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام
هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠
ص.ب. ٥٣/ ٢٤ . ٣٢٧/ ٢٥

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب:	مواعظ من نهج البلاغة
تأليف:	مركز نون للتأليف والترجمة
نشر:	جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
	جمادى الأولى 1433 هـ - نيسان - 2012 م

مركز نون للتأليف والترجمة

مواعظُ
مِنْ نهجِ البلاغة

مركز المعارف للتأليف والترجمة

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمـد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علـى المبعوث رحمةً للعالمين وقدوةً للمؤمنين أبي القاسم محمّد وعلى آله الطّيبين الطاهرين.

بعد أن لاقى كتـاب الموعظة الصادر عن مركز نون للتأليف والترجمة في جمعية المعـارف الإسلاميّة صـدى إيجابيّاً لدى العلماء الكرام، سعـى المركز لوضع اثنتي عشـرة موعظـة جديدة لتكون مـادّة وعظيّة بيـن أيديهم. وهذه المواعـظ المختارة مستقـاة من حاجة بعض مجتمعاتنا وبيئاتنا، وممّا قـد يعانيه بعض الأخوة الأعزّاء، ولـم نتعرّض لصلب المشاكل الاجتماعية الجزئيّة، تاركين ذلك لوعي وخبرة العلماء الكرام، مكتفين بالإشارة؛ لأنّ اللبيب تغنيه الإشارة، وعليه أن يفرّع الأمثلة من البيئة الّتي يعيشها.

وحيـث إنّ هذه المواعظ لا تُعطى إلّا لأهلهـا، ولمن يريد تهذيب نفسه والرقيّ بها وبمجتمعه نحو مجتمع أفضل وأسمى، حاولنا قدر الإمكان إغناء هذه المواعظ بالآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، لأنّها المعيار الفاصل في عمليّة التكامل الإنسانيّ. وقد اخترنا بعض الحِكم والمواعظ من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام من النهج الشريف، لمـا لكلماته الصـادرة من ينبوع الحكمـة والموعظة من أثر على النفوس الإنسانيّة الساعية نحو الرقيّ والكمال.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يملأ بهذا الكتاب فراغاً في الساحة الاجتماعيّة، ويعالج بعض الظواهر والمشكلات الّتي يسعى لمعالجتها المخلصون، وأن يرزقنا حسن العاقبة والفوز بالجنّة والرضوان مع محمّد وآله صلوات الله عليهم أجمعين.

مركز نون للتأليف والترجمة

1

حكمة الاختبار

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«.. ولكنّ الله يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبّدهم بأنواع المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره، إخراجاً للتكبّر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلّل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فُتُحاً إلى فضله، وأسباباً ذُلُلاً إلى عفوه».

نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

الامتحان الإلهيّ سنّة خالدة

يشير الإمام عليّ عليه السلام إلى حقيقة وسنّة إلهية جارية على الناس في حياتهم الدنيوية، وهي سنّة الاختبار والامتحان، وهي حقيقة كثيراً ما أشار لها القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[2].

«**يفتنون**» مشتقّ من «**الفتنة**» وهي في الأصل وضع الذهب في النّار لمعرفة مقدار خلوصه، ثمّ أطلق هذا التعبير على كلّ امتحان ظاهريّ ومعنويّ.

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢ ـ ٣.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ ـ ١٥٧.

لماذا الاختبار الإلهيّ؟

فـي مجـال الاختبار الإلهـيّ تطرح بحوث كثيـرة. وأوّل ما يتبـادر للذهن في هذا المجـال هـو سبب هذا الاختبار. فنحـن نختبر الأفراد لنفهم مـا نجهله عنهم. فهل أنّ الله سبحانـه وتعالى بحاجة إلى مثل هذا الاختبار لعباده، وهو العالم بكلّ الخفايا والأسرار؟! وهل هناك شيء خفي عنه حتّى يظهر له بهذا الامتحان؟!

والجواب: إنّ مفهوم الاختبار الإلهيّ يختلف عن الاختبار البشريّ.

اختباراتنـا البشريـة تستهـدف رفع الإبهـام والجهـل، والاختبار الإلهـيّ قصده «**التربية**» وإيصال الإنسان إلى الكمال بإخراج الدفائن المكنونة فيه.

كثيراً ما تحدّث القرآن عن الاختبار الإلهيّ، باعتباره سنّة كونية مستمرّة من أجل تفجيـر الطاقات الكامنة، ونقلها من القوّة إلـى الفعل، وبالتالي فالاختبار الإلهيّ من أجـل تربية العباد، فكما أنّ الفـولاذ يتخلّص من شوائبه عند صهره في النار، كذلك الإنسان يخلص وينقى في خضمّ الحوادث، ويصبح أكثر قدرة على مواجهة الصعاب والتحدّيات.

الاختبار الإلهيّ يشبه عمل زارع خبير، ينثر البذور الصالحة في الأرض الصالحة، كـي تستفيد هذه البـذور من مواهب الطبيعة وتبـدأ بالنموّ، ثمّ تصـارع هذه البذرة كلّ المشـاكل والصعاب بالتدريج، وتقـاوم الحوادث المختلفة كالرّياح العاتية والبرد الشديـد والحرّ اللافح، لتخـرج بعد ذلك نبتة مزهرة أو شجـرة مثمرة، تستطيع أن تواصل حياتها أمام الصعاب.

ومـن أجل تصعيد معنويات القوّات المسلّحة، يؤخـذ الجنود إلى مناورات وحرب اصطناعية، يعانون فيها من مشاكل العطش والجوع والحرّ والبرد والظروف الصعبة والحواجز المنيعة. وهذا هو سرُّ الاختبارات الإلهية.

يقـول سبحانه في موضع آخر من كتابه العزيز: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ

﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[١].

ويقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في بيان سبب الاختبارات الإلهية: «... **وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَكِنْ لِتَظْهَرَ الأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوابُ وَالْعِقَابُ**»[٢].

أي أنّ الصفات الكامنة لا يمكن أن تكون وحدها معياراً للثواب والعقاب، فلا بدّ أن تظهر من خلال أعمال الإنسان، والله يختبر عباده ليتجلّى ما يضمرونه في أعمالهم، ولكي تنتقل قابليّاتهم من القوّة إلى الفعل، وبذلك يستحقّون الثواب أو العقاب.

لو لم يكن الاختبار الإلهيّ لما تفجّرت هذه القابليّات، ولما أثمرت الكفاءات، وهذه هي فلسفة الاختبار الإلهيّ في منطق الإسلام.

الاختبار الإلهيّ عامّ

نظام الحياة في الكون نظام تكامل وتربية، وكلّ الموجودات الحيّة تطوي مسيرة تكاملها، حتّى الأشجار تعبّر عن قابليّاتها الكامنة بالأثمار. من هنا فإنّ كلّ البشر، حتّى الأنبياء، مشمولون بقانون الاختبار الإلهيّ كي تنجلي قدراتهم.

الامتحانات تشمل الجميع وإن اختلفت شدّتها وبالتالي تختلف نتائجها أيضاً، يقول سبحانه: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٣].

القرآن يعرض نماذج لاختبارات الأنبياء إذ يقول: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾[٤].

ويقول في موضع آخر بشأن اختبار النبيّ سليمان عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ...﴾[٥].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.
(٢) نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ٩٣.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٥) سورة النمل، الآية: ٤٠.

يقـول الإمام عليّ عليه السلام: «**أَمَّا بَعْـدُ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّـارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيـلٍ وَرَخَـاءٍ وَلَـمْ يَجْبُـرْ عَظْـمَ أَحَدٍ مِـنَ الْأُمَـمِ إِلَّا بَعْـدَ أَزْلٍ وَ بَلَاءٍ وَفِـي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ وَمَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، وَلَا كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ**»[١].

ويقول عليه السلام: «**إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَـرَكَاتِ، وَإِغْـلَاقِ خَزَائِـنِ الْخَيْـرَاتِ، لِيَتُـوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِـعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّـرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ**»[٢].

طرق الاختبار

إنّ اختبار الله تعالى للناس متنوّع ومتعدّد ولا يقتصر على الجانب السلبيّ.

يقول سبحانـه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[٣].

هذه الآية الكريمة تشير الى البلاء والاختبار في الجانب السلبيّ، لكنّ الآية التالية تعمّم الاختبـار، يقول تعالـى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[٤].

يروى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرض فعاده قوم فقالوا له: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟ فقال: أصبحت بشرّ، فقالوا له: سبحان الله هذا كلام مثلك؟! فقال: يقول الله تعالى: «**ونبلوكم بالخير والشرّ فتنة. فالخير الصحّة والغنى، والشرّ المرض والفقر، ابتلاءً واختباراً**»[٥].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٨٨.
(٢) م. ن، الخطبة ١٢٣.
(٣) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ ـ ١٥٧.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.
(٥) الدعوات، قطب الدين الراوندي، ص ١٦٩.

وعنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[١]: «**ومعنى ذلك أنّه سبحانه يختبر عباده بالأموال والأولاد ليتبيّن الساخط لرزقه والراضي بقسمه، وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن لتظهر الأفعال التي بها يستحقّ الثواب والعقاب**»[٢].

إذاً، فالامتحانات الإلهية تأتي بصور مختلفة:

فالجماعة الذين يعيشون في محيط ملوّث بالمفاسد والوساوس تحيط بهم من كلّ جانب، فإنّ امتحانهم الكبير في مثل هذا الجوّ والظروف، هو أن لا يتأثّروا بلون المحيط وأن يحفظوا أصالتهم ونقاءهم.

والجماعة الذين يعيشون تحت ضغط الحرمان والفقر، يرون أنّهم لو صمّموا على ترك رأس مالهم الأصيل «**الإيمان**» فإنّهم سرعان ما يتخلّصوا من الفقر والحرمان لكنّ ثمن ذلك هو فقدانهم للإيمان والتقوى والكرامة والحريّة والشرف، فهنا يكمن امتحانهم..

وجماعة آخرون على عكس أُولئك غرقى في اللذائذ والنعم، والإمكانات المادية متوفّرة لديهم من جميع الوجوه، ترى هل يؤدّون في مثل هذه الظروف الشكر على النعم، أم سيبقون غرقى في اللذائذ والغفلة وحبّ الذات والأنانية، غرقى الشهوات والاغتراب عن المجتمع وعن أنفسهم؟!

وجماعة منهم كالمتغرّبين في عصرنا، يرون بعض الدول بعيدة عن الله والفضيلة والأخلاق حقّاً، ولكنّها تتمتّع بالتمدّن المادّيّ المذهل والرفاه الاجتماعيّ. هنا تجذب هؤلاء المتغرّبين قوّة خفيّة إلى سلوك هذا النوع من الحياة أو سحق جميع القيم والأصول والأعراف التي يعتقدون بها، ويبيعون أنفسهم أذلّاء عملاء لتلك الدول،

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٨، ص ٢٤٨.

ليوفّروا لهم ولمجتمعهم مثل هذه الحياة... وهذا نوع آخر من الامتحان.

المصائب، والآلام والهموم، والحروب والنزاعات، والقحط والغلاء، وما تثيره الحكومات الأنانية لتجذبهم إليها وتستعبدهم به وأخيراً الأمواج النفسية القوية والشهوات، كلّ منها وسيلة للامتحان في طريق عباد الله، والسائرين في الميادين التي تتميّز فيها شخصيّة الأفراد وتقواهم وإيمانهم وطهارتهم وأمانتهم وحرّيتهم.. الخ.

ولكن لا طريق للانتصار في هذه الامتحانات الصعبة لاجتيازها إلاّ الصبر والجدّ والسعي المستمر، والاعتماد على لطف الله سبحانه.

ومن الطريف أنّنا نقرأ حديثاً عن أحد المعصومين في أصول الكافي في تفسير الآية ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ يقول فيه: «**يُفتنون كما يُفتن الذهب، ثمّ قال: يخلصون كما يخلص الذهب**»[١].

وعلى كلّ حال، فإنّ طالبي العافية الذين يظنّون أنّ إظهار الإيمان كاف بهذا المقدار ليكونوا في صفوف المؤمنين وفي أعلى علّيين في الجنّة مع النّبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، فهم في خطأ كبير.

وعلى حدّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «**والذي بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبلة ولتغربلنّ غربلة، ولتساطنّ سوط القدر حتّى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم**»[٢].

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٢٧٠.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٦.

مطالعة

صبر وتحمّل الإمام عليّ عليه السلام

بعد أحداث التحكيم في «**دومة الجندل**» أصبح الكثير من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام بالأمس أعداءه اليوم، وهم الخوارج الذين خرجوا عن طاعته ورفعوا شعار «**الحكم لله لا لك يا عليّ**» وذلك بعد واقعة التحكيم. ولقد كان الإمام يعاني منهم الأمرّين خصوصاً أنّهم كانوا يعيشون في الكوفة وبين أتباعه.

ويروى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان جالساً في أصحابه إذ مرّت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السلام:

«إِنَّ أَبْصَارَ هذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ، وَإِنَّ ذلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَا، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلاَمِسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَتِهِ.

فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه.

فوثب القوم ليقتلوه.

فقال: رُوَيْداً، إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ.»[1].

وهذه الحادثة تبيّن لنا طبيعة الحياة السياسية الّتي أشاعها أمير المؤمنين عليه السلام في دولته الفتيّة بالرغم من كلّ الصعوبات والعراقيل الّتي أوجدها معارضوه في طريق هذه الدولة. فهذه الحادثة تبيّن:

١ ـ سيطرة أمير المؤمنين عليه السلام على البلاد.

٢ ـ الجوّ الديمقراطيّ الّذي أشاعته حكومة الإمام عليه السلام.

٣ ـ سعة صدر الإمام عليه السلام وعفوه حتّى عن أعدائه.

٤ ـ إضافة إلى مسألة أخلاقية تبيّنها الحادثة وهي أسلوب القضاء على فوران الغريزة الجنسية بالالتجاء إلى الطريق الحلال في إشباعها.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٢٠، ص ٦٣.

2

كيد الشيطان

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«اتّخذوا الشيطان لأمرهم مِلاكاً، واتّخذهم له أشراكاً. فباض وفرّخ في صدورهم. ودبّ ودرج في حجورهم. فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم. فركب بِهم الزَّلل وزيّن لهم الخَطَل فِعْلَ من قد شَرِكَهُ الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه».

نهج البلاغة، الخطبة ٧

ملاك الأمر: ما به قوامه و ديمومته.

الأشراك: جمع شرك حبائل الصيد.

باض وفرّخ: كناية عن توطنه صدورهم وطول مكثه فيها، لأنّ الطائر لا يبيض إلا في عشّه. وفراخ الشيطان وساوسه.

دبّ: مشى على اليدين والرجلين كالطفل.

درج: مشى.

الحجور: مفردها حجر الحضن وفلان نشأ في حجر فلان أي في كنفه و منعته.

الزلل: الخطأ.

زيّن: له الأمر حسّنه و الشيء زخرفه.

الخطل: أقبح الخطأ.

أخلاق الشيطان

إنّ الإنسان المؤمن كما أنّه مدعوّ لمعرفة الله تعالى وأخلاقه ليتخلّق بها: «**تخلّقوا بأخلاق الله**» كذلك هو مدعوّ لمعرفة عدوّه الشيطان الرجيم ليبتعد عن أخلاقه.

والشيطان هو كلّ موجود مؤذٍ مغوٍ طاغٍ متمرّد، إنساناً كان أم غير إنسان، وإبليس اسم الشيطان الذي أغوى آدم ويتربّص هو وجنده الدوائر بأبناء آدم دوماً[١].

وللشيطان أخلاق وصفات منها:

١ - الاستكبار والعصبية

ففي خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: وهي تتضمّن ذمّ إبليس لعنه الله، على استكباره و تركه السجود لآدم عليه السلام، و أنّه أوّل من أظهر العصبية و تبع الحميّة، و تحذير الناس من سلوك طريقته.

«**فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ. فَعَدُوُّ اللهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ،**

(١) انظر، الأمثل، الشيخ مكارم الشيرازي، ج١، ص١٧١.

الَّـذِي وَضَـعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّـةِ، وَنَـازَعَ اللهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّل»[١].

لذلك على الإنسان المؤمن أن لا يتعصّب إلّا للحقّ والدين، ويبتعد عن أيّ عصبيّة أخرى حتّى لو كان لأهله وإخوته وأقاربه.

٢ـ اتّباع الهوى

مـن صفات الشيطـان اتّباع هواه، فهو يريـد عبادة ربّه حسب هـواه، فعن الإمام الصـادق عليه السلام: «**أمر الله إبليس بالسجـود لآدم، فقال: يا ربّ وعزّتك إنْ أعفيتني مـن السجـود لآدم لأعبدنّـك عبادة ما عبدك أحد قـطّ مثلها، قال الله جل جلاله: إنّي أحبّ أن أطاع من حيث أريد**»[٢].

وكـم نرى مـن الناس من يتّصف بهـذه الصفة حيث يريد دينـاً حسب ما تشتهي نفسـه، فبعضهـم تقول له أطـع الله، صلّ الصلـوات الخمس، زكِّ، خمّـس، انته عن المعاصـي، يجيـب: إنّما الإيمان في القلـب، وينسى أو يتناسـى أنّ الإيمان بالقلب لا يكفي إن لم يلزمه العمل الصالح. لذلك نرى في كثير من الآيات الكريمة قرناً دائماً بين الإيمان والعمل الصالـح، يقول تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[٣].

ويقول سبحانـه: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾[٤].

فنلاحـظ فـي الآية الشريفـة أنّ أيّ عمل للصالحات لا بدّ حتّـى يؤتي ثمرته وهي دخول الجنّة أن يكون مقروناً بالإيمان.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.
(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٢، ص ٢٦٢.
(٣) سورة العصر، الآيات: ١ ـ ٣.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ

من الأمـور التي تساعد على مجابهـة الشيطان معرفة خططـه، ومن خططه أنّه لا يوقـع الإنسـان المؤمن في المعاصـي الكبيرة بخطوة واحـدة وبشكل مكشوف،بل يعطيه السموم على جرعات، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ فعبـارة (خُطُـوَاتِ الشَّيْطَـانِ) قد تشيـر إلى مسألة تربويـة دقيقـة، وهي أنّ الانحرافات تدخـل ساحة الإنسان بشـكل تدريجيّ، لا دفعيّ فوريّ. فتلوُّث شابٍّ بالقمار، أو شرب الخمر، أو بالمخدّرات، يتمّ على مراحل:

- فمثـلاً يشتـرك أوّلاً متفرّجـاً في جلسة مـن جلسات لعب الورق، ظانّـاً أنّه عمل اعتياديّ لا ضير فيه.
- ثمّ يشترك في اللعب نفسه للترويح عن النفس (دون ربح أو خسارة)، أو يتناول شيئاً من المخدّرات بحجّة رفع التعب أو المعالجة أو أمثالها من الحجج.
- وفي الخطوة الأخرى يمارس العمل المحرّم قاصداً أنه يمارسه مؤقتاً.
- وهكـذا تتوالـى الخطوات واحدة تلـو الأخرى ويصبح الفرد مقامـراً محترفاً أو مدمناً مريضاً.

فوساوس الشيطان تدفع بالفرد على هذه الصورة التدريجية نحو هاوية السقوط. وليست هذه طريقة الشيطان الأصليّ فحسب، بل كلّ الأجهزة الشيطانية تنفّذ خططها المشؤومـة على شكل «**خُطُـوات**». لذلك يحذّر القرآن كثيراً من اتّخاذ الخطوة الأولى على طريق الانزلاق.

يقـول تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾[1]. ويقـول سبحانـه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٨.

خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾[١]

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ**»[٢].

وعنه عليه السلام: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ، وَ يُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً**»[٣].

ما يساعد الشيطان على الإنسان

ثم إن هناك أموراً عديدة تساعد الشيطان على الإنسان منها:

١ـ مجالسة أهل الهوى

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ، محضرةٌ للشيطان**»[٤].

من هنا حذّر الإمام من مجالسة أهل الأسواق لأنّ أكثرهم أهل هوى: «**وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ، فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ، وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ**»[٥].

٢ـ الافتراق عن جماعة أهل الحقّ

فعنه عليه السلام: «**وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَ ضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ**»[٦].

فلذلك لا بدّ أن يحرص الإنسان على البقاء في أجواء أهل الحق والذكر وعمل الخير ولا يشذّ عنهم كي لا يقع في شرك ومصيدة إبليس اللعين.

---

(١) سورة النور، الآية: ٢١.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٥١.
(٣) م. ن، الخطبة ١٢١.
(٤) م. ن، الخطبة ٨٦.
(٥) م. ن، الكتاب ٦٩.
(٦) م. ن، الخطبة ١٢٧.

٣ـ الظلم والكبر

فعنه عليه السلام: «فَاللهَ اللهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وَ آجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَ سُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ، فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَ مَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ»[١].

فلذلك لا بدّ من الاجتناب عن الظلم والكبر كي لا يقع المؤمن في مكيدة إبليس.

٤ـ الانشغال بعيوب غيره عن عيوب نفسه

فعنه عليه السلام: «فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَ ارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، وَ مَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَ زَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ»[٢].

وهذه آفّة عظيمة عند الإنسان حيث يلقي بالملامة دائماً على غيره ويبرّئ نفسه، بينما نجد الأولياء يقولون: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[٣].

٥ـ الوقوع في الفتنة

فعنه عليه السلام: «وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ، وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ، فَيُمْزَجَانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَ يَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى»[٤].

فلا بدّ من المعرفة والتعلم والوعي لكي يستطيع الإنسان أن يميّز بين الحقّ والباطل، وعليه بالرجوع إلى العلماء وإلى المخلصين الواعين من المؤمنين كي ينصحوه فلا يقع في الفتنة وبالتالي يضلّ الطريق.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.
(٢) م. ن، الخطبة ١٥٧.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٥٣.
(٤) نهج البلاغة، الخطبة ٥١.

٦ـ الإعجاب بالنفس وحبّ المدح

فعنه عليه السلام: «**وَإِيَّاكَ والْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ**»[١].

فإنّ الإعجاب بالنفس وانتظار مدح الناس له يؤدّي إلى محق العمل فيدخل إبليس من هذا الباب وتكون نهاية الإنسان التعب في الدنيا والخسران في الآخرة.

٧ـ الشكّ

عنه عليه السلام: «**وَمَنْ تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنَابِكُ الشَّيَاطِينِ**»[٢].

لذلك لا بدّ من أن يخطو الإنسان المؤمن في كل خطواته بثقة وعلم ومعرفة ويقين لا سيما في المعتقدات، حتّى لا يقع تحت وطأة حوافر الشياطين.

٨ـ الغضب

فعنه عليه السلام: «**وَاحْذَرِ الْغَضَبَ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ**»[٣].

«**وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ**»[٤].

ومن الواضح أنّ الغضب نار تشتعل في الإنسان فتطغى على العقل وبالتالي يقع بالمفسدة والضرر.

٩ـ الإفراط في حبّ النساء والخلوة بالأجنبية

عن الإمام عليّ عليه السلام: «**الفتن ثلاث: حبّ النساء وهو سيف الشيطان، وشرب الخمر وهو فخّ الشيطان، وحب الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان**»[٥].

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.
(٢) م. ن، الحكمة ٣١.
(٣) م. ن، الكتاب ٦٩.
(٤) م. ن، الكتاب ٧٦
(٥) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٢، ص١٠٧.

وفـي الرواية أنّه قال إبليس لموسى عليه السلام: يـا موسى لا تخل بامرأة لا تحلّ لك، فإنه لا يخلو رجل بامرأة لا تحلّ له إلا كنت صاحبه دون أصحابي[١].

فلشـدّة خطـورة هذه الخطوة ولأنهـا سريعة في إيقاع المؤمـن بالمعصية يتدخّل إبليـس بنفسـه ليوقع المؤمن بمـا يغضب الله، لذلـك لا بدّ من أخـذ الحيطة للدين والحذر من الخلوة بالمرأة الأجنبية.

١٠ـ حبّ المال والترف

عنـه عليه السلام من كتـاب له إلى معاويـة: « **فإنّـك مترف قـد أخذ الشيطـان منك مأخذه، وبلغ فيك أمله، وجرى منك مجرى الروح والدم**»[٢].

وعنـه عليه السلام: «**إنّ الشيطـان يديـر ابن آدم في كلّ شيء، فـإذا أعياه جثم له عند المال فأخذ برقبته**»[٣].

وهذه مصيبة عامّة البلوى، تأخذ بالإنسان برقبته وتورده المهالك، فعلى الإنسان أن يعـي أنّ المال ليس إلّا وسيلة للعيش في هذه الدنيا الفانية برضا الله والتقرّب إليه فيها للوصول إلى ذلك العالم، فالمال وسيلة لرضا الله سبحانه، وليس هدفاً بنفسه.

١١ـ الحسد والعداوة

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ ...﴾[٤].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**يقول إبليس لجنوده: ألقوا بينهم الحسد والبغي، فإنهما يعدلان عند الله الشرك**»[٥].

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج١٣، ص٣٥٠.
(٢) نهج البلاغة، الكتاب ١٠.
(٣) شرح أصول الكافي، المولى محمّد صالح المازندراني، ج٩، ص٣٣٧.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٩١.
(٥) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٧٢، ص ٢٧٨.

مطالعة

توبة النبيّ آدم عليه السلام

خلق الله آدم عليه السلام ووهبه المعرفة الّتي يفرّق بها بين الحقّ والباطل، وأسكنه سبحانه داراً أرغد فيها عيشته، وآمن فيها محلّته، وحذّره إبليس وعداوته.

ولكنّ إبليس اللعين انتهز منه غرّة فأغواه، وكان الحامل للشيطان على غواية آدم حسده له على الخلود في دار المقام ومرافقته الأبرار من الملائكة الأطهار، فأدخل عليه الشكّ في أن ما تناول منه سائغ التناول بعد أن كان قد نهاه الله عن تناول ما يوجب له اليقين بحظره عليه.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**اغْتَرَّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ، وَمُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَالعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً، وَبِالْاغْتِرَارِ نَدَماً. ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، وَوَعَدَهُ المَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ البَلِيَّةِ، وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ**»[1].

فقد أخرجهما مما كانا فيه وغفر خطيئتهما بعدما تابا ولم يرجعهما إلى الجنّة[2]، بل أهبطهما إلى الدنيا ليحييا فيها. ولو لم تكن الحياة الأرضية مع أكل الشجرة وظهور السوأة حتماً مقضياً، والرجوع إلى الجنّة مع ذلك محالاً، لرجعا إليها بعد حطّ الخطيئة، فالعامل في خروجهما من الجنّة وهبوطهما هو الأكل من الشجرة وظهور السوأة، وكان ذلك بوسوسة الشيطان اللعين[3].

---

(١) نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١، ص ٢٠.

(٢) يعتقد بعض الناس أن الجنّة الّتي كان فيها آدم هي جنّة الخلد، وهذا القول غير سليم حيث تنفيه الكثير من الروايات منها ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام بعد أن سئل عن جنّة آدم، فقال: جنّة من جنان الدنيا، يطلع عليها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الخلد ما خرج منها أبداً. نور الثقلين ١: ٦٢.

(٣) تفسير الميزان، العلّامة الطباطبائي، ج١، ص ١٩٣ ـ ١٩٧.

3

الشيطان أضعف ركناً

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«وعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ، وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ».

نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

ما يساعد الإنسان على الشيطان

لقد أشرنا في الدرس السابق كيف يستطيع إبليس عبر خطوات أن يوقع الإنسان في الهاوية، ولا بدّ من التعرف إلى ما يساعد هذا الإنسان للتغلّب على إبليس، فإنّ الله سبحانه أودع هذه القوّة في الإنسان، ليستطيع الوصول إلى الجنّة بعد هذا الامتحان الكبير فيستحقّ بذلك رضا الله والجنّة. نذكر منها:

١- العبادة

في خطبة للإمام عليّ عليه السلام بعد أن يحذّر من الشيطان يذكر ما يحرس منه فيقول: «**وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات، ومجاهدة الصيّام في الأيّام المفروضات**»[١].

٢- الدعاء

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٢].

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

(٢) سورة غافر، الآية:٦٠.

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**أكثر الدعاء تسلم من سورة الشيطان**»[١].

فالدعاء وهو من لحظات الأنس مع الله سبحانه من أهمّ الأمور المقرّبة منه تعالى، والتي تعين على الابتعاد عن إبليس اللعين.

٣-ذكر الله

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**قال إبليس: خمسة أشياء ليس لي فيهنّ حيلة وسائر الناس في قبضتي: من اعتصم بالله عن نيّة صادقة واتّكل عليه في جميع أموره، ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره، ومن رضي لأخيه المؤمن بما يرضاه لنفسه، ومن لم يجزع على المصيبة حين تصيبه، ومن رضي بما قسم الله له ولم يهتمّ لرزقه**»[٢].

قصّة لطيفة

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿**وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً** ...﴾[٣] صعد إبليس جبلاً بمكّة يقال له: ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيّدنا لمَ دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا، قال: لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنّيهم حتّى يواقعوا الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها فوكّله بها إلى يوم القيامة»[٤].

٤-الاعتصام بالقرآن والنبيّ والآل

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من أحبّ أن يركب سفينة النجاة، ويستمسك بالعروة**

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٧٥، ص٩.
(٢) م. ن، العلامة المجلسي،ج٦٠، ص ٢٤٨.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.
(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٦٦، ص٣٤٩.

الوثقى، ويعتصم بحبل الله المتين، فليوالِ عليّاً بعدي، وليعادِ عدوّه، وليأتمّ بالأئمّة الهداة من ولده، فإنّهم خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي، وسادة أمّتي، وقادة الأتقياء إلى الجنّة. حزبهم حزبي، وحزبي حزب الله عزّ وجلّ، وحزب أعدائهم حزب الشيطان»[١].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ: فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ وَاسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ، وَ لَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ - وَ أَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ**»[٢].

وفي زمن غيبة الإمام المهديّ عجل الله فرجه ينبغي الاعتصام واللجوء إلى الوليّ الفقيه، فإنّه بما يملك من علم وعدالة وبصيرة وشجاعة وزهد في الدنيا ومخالفة لهواه، يؤمِن المؤمنين من الفتنة والاختلاف، فعن الإمام العسكريّ عليه السلام: «**من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه**»[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إيّاكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى قضاة الجور، ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا، فاجعلوه بينكم قاضياً، فقد جعلته عليكم قاضياً فتحاكموا إليه**»[٤].

وفي المكاتبة عن الإمام المهديّ عجل الله فرجه: «**وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله**»[٥].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٢٢، ص١٤٤.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٩١.
(٣) العروة الوثقى، السيد اليزدي، ج١، ص٢٦.
(٤) عوالي اللآلي، ابن أبي جمهور الإحسائي، ج٣، ص٥١٨.
(٥) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج٢٧، ص١٤٠.

٥- البصيرة

عـن أمير المؤمنيـن عليه السلام: «**ألا وإنّ الشيطان قد جمع حزبـه، واستجلب خيله ورجله، وإنّ معي لبصيرتي**»(١).

فالإنسـان المؤمن مدعوّ لامتـلاك الوعي والبصيرة وزيادتهما لكي لا تتطلي عليه حيل ومكر الشياطين.

٧- التوكّل على الله

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٢).

إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً

ينبغي للإنسان المؤمن أن لا يخاف إلّا الله ولا يخاف من شياطين الإنس والجن، فإنّمـا يخـوّف أوليـاءه: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٣).

فكيـد الشيطان ضعيـف أمام صلابة ووعـي وبصيرة الإنسـان المؤمن: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾(٤).

وعـن الإمـام الكاظم عليه السلام فـي وصيّته لهشـام: «**فلـه - أي لإبليس - فلتشتدّ عداوتـك، ولا يكونـنّ أصبر على مجاهدته لهلكتك منـك على صبرك لمجاهدته، فإنّه أضعف منك ركناً في قوته، وأقلّ منك ضرراً في كثرة شرّه، إذا أنت اعتصمت بالله فقد هديت إلى صراط مستقيم**»(٥).

فالشيطان ليس له سلطان على الإنسان إلا أن يساعده الإنسان على نفسه: ﴿ وَقَالَ

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٠.
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.
(٤) سورة النساء، الآية: ٧٦.
(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٧٥، ص٣١٥.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[١].

فابرأ من الشيطان الضعيف قبل أن يبرأ منك يوم لا ينفع الندم: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ، وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ، وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ**»[٣].

ونحن نرى بأمّ أعيننا كيف أنّ شياطين الإنس مثل أمريكا وإسرائيل يستعملون عملاءهم ثمّ يلفظونهم ويتركونهم لمصيرهم المشؤوم.

فاحذروا أن تكونوا قرناء الشياطين بين طابقين من نار، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ، وَقَرِينَ شَيْطَانٍ**»[٤].

مطالعة

إنّ الشيطان قد استقلّهم

كان الخريت بن راشد، مع ثلاثمائة رجل من بني ناجية مقيمين مع الإمام عليّ عليه السلام بالكوفة قدموا معه من البصرة، وكانوا قد خرجوا إليه يوم الجمل، وشهدوا معه صفّين والنهروان، فجاء إلى عليّ عليه السلام في ثلاثين راكباً من أصحابه،

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الحشر، الآية: ١٦.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٨١.
(٤) م. ن، الخطبة ١٨٢.

فقال له: والله يا عليّ لا أطيع أمرك ولا أُصلّي خلفك وإنّي غداً لمفارقك.

فقال له الإمام عليه السلام: ثكلتك أُمّك، إذاً تعصي ربّك وتنكث عهدك ولا تضرّ إلاّ نفسك، خبّرني لِمَ تفعل ذلك.

قال: لأنّك حكمت في الكتاب وضعفت عن الحقّ إذا جدّ الجدّ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم، فأنا عليهم زارٍ، وعليهم ناقم ولكم جميعاً مباين.

فقال له الإمام عليه السلام: هَلُمَّ أدارسك الكتاب، وأُناظرك في السنن، وأُفاتحك أُموراً من الحقّ أنا أعلم بها منك، فلعلّك تعرف ما أنت له الآن منكر، وتستبصر ما أنت عنه الآن جاهل.

قال: فإنّي عائد إليك.

قال: لا يستهوينّك الشيطان، ولا يستخفنّك الجهل، ووالله لئن استرشدتني واستنصحتني وقبلت منّي لأهدينّك سبيل الرشاد.

فنفر الخريت مع أصحابه ليلاً ولم يعد إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فأرسل عليه السلام رجلاً من أصحابه يستعلم حالهم، فلمّا عاد إليه الرجل قال له: أأمنوا فقطنوا أم جبنوا فظعنوا؟ فقال الرجل: بل ظعنوا يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: «**بُعْداً لَهُمْ (كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ)! أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الاْسِنَّةُ إِلَيْهِمْ وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَقَلَّهُمْ، وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّىءٌ مِنْهُمْ، وَمُخلٌّ عَنْهُمْ، فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلاَلِ وَالْعَمَى، وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقّ، وَجِمَاحِهِمْ فِي التِيهِ**»[1].

(١) نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٢، ص ١٠٢. نهج السعادة، ج٥، ص ١٧٣.

4

اجتناب الشبهات

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّ من صرّحت له العِبَرُ عمّا بين يديه من المَثُلات، حجزته التّقوى عن تَقحُّم الشّبهات».

نهج البلاغة، الخطبة: ١٦.

صرّحت: كشفت.

العبر: بكسر ففتح جمع عبرة: الموعظة.

المثلات: العقوبات.

الشبهات: جمع شبهة: الالتباس، ما يلتبس فيه الحقّ بالباطل والحلال بالحرام.

إنّ قـول الإمام عليّ عليه السلام فيه إشارة إلـى أمرين لا بدّ من مراعاتهما لمن يريد السّلوك إلى الله تعالى، وهما:

١ـ الاعتبار

«إنّ من صرّحت له العبر عمّا بين يديه من المثلات».

يعتبـر الإسلام ربـط الماضي بالحاضر والحاضر بالماضـي أمراً ضرورياً لفهم الحقائق، لأنّ الارتباط بين هذين الزمانين (الماضي والحاضر) يكشف عن مسؤولية الأجيال القادمة، ويوقفها على واجبها.

وهـذا يعنـي أنّ لله في الأُمم سنناً لا تختصّ بهم، بـل هي سنن وقوانين عامّة في الحيـاة تجـري على الحاضريـن كما جرت علـى الماضين سواء بسـواء، وهي سنن للتقـدّم والبقاء وسنـن للتدهور والاندحار، التقـدّم للمؤمنين المتّقيـن المجاهدين المتّحديـن الواعين، والتدهور والاندحار للأُمم المتفرّقـة المتشتّتة الكافرة الغارقة في الذنوب والآثام.

إنّ للتاريـخ أهمّيـة حيوية لـكلّ أمّة من الأُمـم، لأنّ التاريخ يعكـس الخصوصيات الأخلاقية والأعمال الصالحة وغير الصالحة، والأفكار التي كانت سائدة في الأجيال

السابقــة، كما يكشف عن علل سقوط المجتمعــات أو سعادتها، ونجاحها وفشلها في العصور الغابرة المختلفة.

وبكلمــة واحــدة: إنّ التاريخ مرآة الحياة الروحيــة والمعنوية للمجتمعات البشرية وهو لذلك خير مرشد محذّر للأجيال القادمة.

إنّ آثار الماضين خير عِبرة للقادمين، وبالنظر فيها والاعتبار بها يمكن للناس أن يعرفوا المسير الصحيح للسلوك والحياة.

ولهــذا نجد القرآن الكريم يدعو المسلمين إلــى السير في الأرض والنظر بإمعان وتدبّــر في آثار الأُمــم والشعوب التي سادت ثمّ بــادت إذ يقول: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[1]، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[2].

وقد أشار الإمــام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه الحقيقة في كلمات وخطب عديدة منها قوله:

«فاعتبــروا بمــا أصــاب الأُمــم المستكبرين من قبلكــم من بأس الله وصولاته، ووقائعــه ومُثُلاتــه واتّعظــوا بمثاوي خدودهــم، ومصارع جنوبهــم واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر...

واحــذروا مــا نزل بالأُمــم قبلكم مــن المثلات بســوء الأفعال، وذميــم الأعمال، فتذكّــروا في الخير والشــرّ أحوالهم، واحذروا أن تكونــوا أمثالهم فإذا تفكّرتم في تفــاوت حاليهــم فالزمــوا كلّ أمر لزمت العــزّة به شأنهم وزاحت الأعــداء له عنهم، ومــدّت العافيــة به عليهم، وانقادت النعمة له معهــم، ووصلت الكرامة عليه حبلهم مــن الاجتناب للفرقة واللــزوم للألفة والتحاضّ عليهــا، والتواصي بها، واجتنبوا كلّ أمر كسر فقرتهم وأوهن منّتهم، من تضاغن القلوب، وتشاحن الصدور وتدابر

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٢.

النفوس، وتخاذل الأيدي...»[١].

ولذلك نرى القرآن الكريم عامراً بقصص الماضين، يقول سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾[٢]، ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣]. ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾[٤]. ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥]. ويقول أيضاً: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٦].

٢ـ التقوى

«حجزه التّقوى عن التّقحّم فى الشّبهات».

والوجه فيه هو أنّ الإنسان العاقل إذا اعتبر بما وقع من الحوادث على الأمم الماضية في القرون السّالفة وعلم أنّ العلّة و السّبب فيها لم تكن إلّا العصيان والمخالفة لأوامر الله تعالى وارتكاب المنهيات وعدم الانقياد للنّواميس الشّرعية التي بعث الله تعالى الأنبياء لأجلها فلا جرم يكون هذا الاعتبار مانعاً له عن الدخول في الشّبهات فضلاً عن المحرّمات.

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره:

«... للورع مراتب كثيرة: فورع العوام: الاجتناب عن الكبائر، وورع الخواصّ: الابتعاد عن الشبهات خشية الوقوع في المحرّمات. وورع أهل الزهد: الاجتناب عن المباحات للابتعاد عن وزرها. وورع أهل السلوك: ترك النظر إلى الدنيا لأجل الوصول إلى المقامات. وورع المجذوبين: ترك المقامات لأجل الوصول إلى باب

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة:١٩٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٠١.
(٣) سورة هود، الآية: ١٢٠.
(٤) سورة طه، الآية: ٩٩.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.
(٦) سورة يوسف، الآية: ١١١.

الله، ومشاهدة جمال الله. وورع الأولياء: الاجتناب عن التوجّه إلى الغايات»[١].

وقد أشير إلى ورع الخواصّ في روايات عديدة منها:

عن رسول الله ﷺ: «**حلال بيّن و حرام بيّن وشبهات بين ذلك فمن ترك الشّبهات نجا من المحرّمات و من أخذ بالشّبهات ارتكب المحرّمات و هلك من حيث لا يعلم**»[٢] و ذلك لأنّ الوقوف عند الشّبهات خير من الاقتحام في الهلكات.

وعن النّعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ لكلّ ملك حمى وإنّ حمى الله حلاله و حرامه و المشتبهات بين ذلك كما لو أنّ راعياً رعى الى جانب الحمى لم يثبت غنمه أن تقع في وسطه فدعوا المشتبهات**»[٣].

وعن فضيل بن عياض عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: مَن الورعِ من النّاس؟ قال عليه السلام: «**الذي يتورّع من محارم الله و يجتنب هؤلاء فإذا لم يتّق الشّبهات وقع في الحرام و هو لا يعرفه**»[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**أورع النّاس من وقف عند الشّبهة ...**»[٥].

ازدواج الشخصية

إنّ هناك أناساً يملكون شخصية مزدوجة، فهم أتقياء ورعون محتاطون في أمور وغير مبالين في أمور أخرى.

---

(١) انظر:الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، الحديث ٢٩، ص ٤٢٥- ٤٢٦.
(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص٦٨.
(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٢،ص٢٥٩.
(٤) مستدرك الوسائل،الميرزا النوري،ج١٢،ص١٧٧.
(٥) م. ن، ج١١، ص ٢٧٨.

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره:

«نجد الكثير من ذوي الوسوسة التي لا مبرّر لها والجهلة المتنسّكين، لا يحتاطون في مواضع يجب الاحتياط فيها أو يستحب. هل سمعت أحداً يعيش حالة الوسوسة في الشبهات المالية؟ مَن من [الوسواسيين] دفع الزكاة والخمس مرات عديدة؟ وذهب إلى الحجّ لأداء الواجب مرات متكرّرة؟ وأعرض عن الطعام المشتبه؟ لماذا كانت أصالة الحلّية في الأطعمة المشتبهة جارية وأصالة الطهارة في مشكوك النجاسة غير جارية؟...

كان أحد الأئمّة المعصومين [الإمام الكاظم] سلام الله عليه وعليهم السلام إذا ذهب لقضاء حاجته رشّ الماء على فخذيه، حتّى إذا ترشّحت لدى الاستبراء أو الاستنجاء قطرات من الماء لم يحسّ بذلك. فهو لم يحتط ولم يتوسوس.. وهذا المسكين الذي يرى نفسه محتذياً حذو الإمام المعصوم عليه السلام وآخذاً دينه منه، لا يتّقي لدى التصرّف في الأموال، ولا يحتاط تجاه الطعام بل يتّكل على قاعدة أصالة الطهارة ويأكل، ثم يقوم ويغسل فمه ويديه. إنّه حين الأكل يتمسّك بأصالة الطهارة وبعد أن يشبع يقول: كل شيء نجس»[1].

مثال لاجتناب الشبهات

«إنّ تعويد النفس على الغيبة في الأحوال الجائزة، يضرّ بحالها أيضاً. لأن النفس تميل نحو الشرور والقبائح، فمن المحتمل أن ينجرّ [الإنسان] رويداً رويداً من الموارد الجائزة إلى مرحلة أخرى وهي الموارد المحرّمة، كما أنّ الدخول في الشبهات غير محمود، رغم جوازه، لأنّها حمى المحرّمات ومن الممكن أنّ الاقتحام في الحمى يفضي إلى الدخول في المحرّمات. يجب على الإنسان مهما أمكن أن يبعد النفس عن الغيبة في الأحوال

(١) الأربعون حديثاً، الإمام الخمينيّ، الحديث ٢٥، ص ٣٦٧- ٣٦٨.

المسموحة، ويحترز عن الأمور التي يحتمل أن يكون فيها طغيان للنفس»[١].

قصص لاجتناب الشبهات

دعا أبو عبد الله عليه السلام مولى له يقال له: مصادف، فأعطاه ألف دينار وقال: له تجهّز حتّى تخرج إلى مصر فإنّ عيالي قد كثروا، قال: فتجهّز بمتاع وخرج مع التجّار إلى مصر فلمّا دنوا من مصر استقبلتهم قافلة خارجة من مصر فسألوهم عن المتاع الذي معهم ما حاله في المدينة وكان متاع العامّة[٢] فأخبروهم أنّه ليس بمصر منه شيء فتحالفوا وتعاقدوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار ديناراً فلمّا قبضوا أموالهم وانصرفوا إلى المدينة فدخل مصادف على أبي عبد الله عليه السلام ومعه كيسان في كلّ واحد ألف دينار، فقال: جعلت فداك هذا رأس المال وهذا الآخر ربح، فقال: إنّ هذا الربح كثير ولكن ما صنعته في المتاع؟ فحدّثه كيف صنعوا وكيف تحالفوا،: فقال: سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين ألّا تبيعوهم إلّا ربح الدينار ديناراً، ثمّ أخذ الكيسين[٣] فقال: هذا رأس مالي ولا حاجة لنا في هذا الربح، ثمّ قال: يا مصادف مجادلة السيوف أهون من طلب الحلال[٤].

قصّة أخرى

إنّ المراجع لسيرة علمائنا الأبرار يلاحظ مدى احتياطهم وبعدهم عن الشبهات، وهذه بعض قبساتهم المعبّرة.

يروى عن آية الله السيّد محمّد باقر الدرجه أي ما يلي:

دعاه أحد التجّار الأثرياء مع عدد من العلماء والطلّاب، ومدّ سفرة وسيعة أنيقة مكلفة، عليها أنواع الأطعمة، وكعادته رحمه الله اكتفى بتناول مقدار قليل من الطعام،

(١) الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، الحديث ١٩، ص ٢٩٢- ٢٩٣.

(٢) (متاع العامة) أي الذي يحتاج إليه عامة الناس.

(٣) وفي مستدرك الوسائل: «أحد الكيسين».

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج٥، ص١٦٢.

وبعد الانتهاء من تناول الطعام وغسل الأيدي، قدّم صاحب الدعوى للسيّد سنداً يتضمّن أمراً حراماً بحسب فتواه، وطلب منه أن يوقّع عليه.

أدرك (رضوان الله عليه) أنّ هذه الوليمة كانت مقدّمة لإمضاء هذا السند.

إنّ فيها إذن شبهة الرشوة، فتغيّر لونه وارتعدت فرائصه وقال: أيّة إساءة أسأتها إليك حتّى وضعت في حلقي هذا الزقّوم؟..

لماذا لم تأتِ بهذا السند قبل الغداء حتّى لا ألوّث يدي بهذا الطعام؟..

ثمّ نهض مضطرباً ومضى مسرعاً إلى المدرسة وجلس بجوار الحديقة المقابلة لحجرته، ووضع إصبعه في فمه حتّى استفرغ، ثمّ تنفس الصعداء[1].

(١) سيماء الصالحين، ص٤٧.

مطالعة

عمّار والمغيرة

قال أمير المؤمنين عليه السلام لعمّار بن ياسر (رضي الله عنه) وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً:

«دَعْهُ يَا عَمَّارُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلاَّ مَا قَارَبَتْهُ الدُّنْيَا، وَعَلَى عَمد لَبَّسَ عَلَى نَفْسِهِ، لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَاذِراً لِسَقَطَاتِهِ».

قال ابن أبي الحديد: إنّ أصحابنا غير متّفقين على السكوت على المغيرة، بل أكثر البغداديين يفسّقونه، ويقولون فيه ما يقال في الفاسق، ولمّا جاء عروة بن مسعود الثقفيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الحديبية نظر إليه قائماً على رأس رسول الله مقلّداً سيفاً، فقيل: من هذا؟

قيل: ابن أخيك المغيرة.

قال: وأنت ها هنا يا غدر! والله إنّي إلى الآن ما غسلت سوأتك.

وكان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح، ولا إنابة ونيّة جميلة. كان قد صحب قوماً في بعض الطرق، فاستغفلهم وهم نيام، فقتلهم وأخذ أموالهم، وهرب خوفاً أن يُلحق فيُقتل، أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم، فقدم المدينة فأظهر الإسلام، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يردّ على أحد إسلامه، أسلم عن علّة أو عن إخلاص، فامتنع بالإسلام، واعتصم وحمى جانبه[1].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٢٠، ص٨.

5

اتّباع الهوى وطول الأمل

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«أيّها النّاس: إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: اتّباع الهوى و طول الأمل، فأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، و أمّا طول الأمل فيُنسي الآخرة».

نهج البلاغة، الخطبة ٤٢.

يتحـدّث أمير المؤمنين عليه السلام عن أمرين خطيريــن على سلوك الإنسان نحو الله تعالى، الأمر الأول: اتّباع الهوى، الأمر الثاني: طول الأمل.

الأمر الأوّل: اتّباع الهوى

لا شــكّ أنّ للنفســ الإنسانية رغبات وغرائز ومتطلّبــات وحاجات وميولاً مختلفة، فالإنســان -مثلاً- يحتاج إلى الارتبــاط بزوج ليلبّي حاجته الجسديــة بالإضافة إلى حاجتــه لــلأولاد، ويحتاج إلى المال ليحفظ به نفسه وعيالــه ويطوّر حياته، ويحب أن يكون محترماً بين الناس عزيزاً، وأن يكون حراً.

هــذه بعض الحاجــات والغرائز الموجودة فــي الإنسان، وجميعهــا ضروريّ لبقاء حياته، ولا شكّ أنّ مبدع الوجود خلقها جميعاً لهدف تكامليّ.

والهــدف التكاملــيّ يتحقّق بأن لا تتجــاوز الغرائز والحاجــات حدّها، وتخرج عن التــوازن والحدّ الوسط إلى الإفراط أو التفريط، وذلــك بالتمرّد على الشرع والعقل، وبذلك تكون سائرة مع الهوى المذموم وتابعة له .

فالحاجــة الجسديــة إذا خرجت عن التوازن إلــى التفريط بأن لا يتــزوّج، أو إلى الإفــراط بأن يلبّــي حاجته هذه بأيّ شيء دون رقيب أو حسيــب من دين أو عقل، بأن

يرتكب المحرّمات مثلاً - والعياذ بالله - فهذا وذاك اتّباع للهوى.

والحاجة إلى جمع المال إذا أبطلها الإنسان وزهد فيها زهداً سلبياً، أو انكبّ على الجمع من أيّ طريق وبأيّ وسيلة ولو كانت من حرام كالسرقة والغصب والاحتيال والربا، فهذا وذاك من اتّباع الهوى.

وحبّ الاحترام والعزّة بين الناس إذا أعدمه الإنسان وأذلّ نفسه، أو إذا طلب الجاه بطرق منحرفة، فكلا الحالتين من اتّباع الهوى.

وحبّ الحرية إذا أبطله الإنسان وأصبح يألف العبودية للاستعمار مثلاً، أو أرخى لنفسه العنان دون ضابط، فكلاهما من اتّباع الهوى.

وهكذا كلّ حاجات الإنسان إذا خرجت عن الاعتدال فهي تتبع الهوى والهوى يصدّ عن الحقّ كما قال الإمام عليه السلام.

وقد حذّرنا الله تعالى من اتّباع الهوى في كثير من آيات القرآن، منها، قال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1] ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[2].

والروايات في ذمّه كثيرة، منها عن الإمام عليّ عليه السلام: «**والشّقيّ من انخدع لهواه وغروره.... ومجالسة أهل الهوى منساة للإيمان، ومحضرة للشيطان...**»[3].

«**عباد الله: لا تركنوا إلى جهالتكم، ولا تنقادوا لأهوائكم، فإنّ النازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار، ينقل الرّدى على ظهره من موضع إلى موضع..**»[4].

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٨٢.

(٤) م. ن، الخطبة ١٠٥.

رغبات النفس لا تنتهي

يقـول الإمـام الخمينيّ قدس سره: «**اعلـم أيها العزيـز، أنّ رغبـات النفـس وآمالها لا تنتهـي ولا تصـل إلـى حدّ أو غاية. فإذا اتّبعها الإنسـان ولو بخطوة واحدة، فسوف يضطـرّ إلـى أن يتّبـع تلك الخطـوة خطـوات، وإذا رضي بهوى واحد مـن أهوائها، أجبـر على الرضى بالكثيـر منها. ولئن فتحت باباً واحداً لهوى نفسك، فإنّ عليك أن تفتح أبواباً عديدة له.**

إنّـك بمتابعتـك هـوى واحداً من أهـواء النفـس توقعها في عدد مـن المفاسد، ومـن ثـم سوف تُبتلـى بآلاف المهالك، حتّى تنغلق. لا سمح الله. جميع طرق الحقّ بوجهك في آخر لحظات حياتك، كما أخبر الله بذلك في نصّ كتابه الكريم، وكان هذا هو أخشى ما يخشاه أمير المؤمنين ووليّ الأمر، والمولى، والمرشد والكفيل للهداية والموجّه للعائلة البشرية عليه السلام»[1].

وهـذا يعني أنّ على الإنسان أن يقطع الطريق علـى الهوى من بداية الطريق حتّى لا يسقط في الهاوية السحيقة؛ لأنّ الإنسان في البدايات هو أقدر على السيطرة على الأمور من المراحل المتقدّمة فضلاً عن النهايات.

سدّ طرق الحرام

إنّ قطـع الطريق على الشهوة المحرّمة ينبغي أن يكون من أوّل الطريق فلا ينبغي للإنســان أن يتبــع هــواه في أن ينظــر النظر المحرّم ســواء النظــر المباشر أم عبر الإعلام، أو يختلي بامرأة لا تحلّ له، أو يمازح امرأة لا يجوز له ممازحتها،أو يختلط مع النساء بشكل لا ضابط فيه، فإنّ كلّ ذلك مقدّمات إن لم يقطعها الإنسان من أوّل الطريق يخشى عليه أن يقع في الهاوية السحيقة.

فـإنّ هوى النفس كالنــار لا تشبع، وعليك أن تقطع عليــه المزيد بقناعتك بحلال

(١) الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، الحديث ١٠، ص ١٦٦.

الغرائز والميول والاحتياجات.

وقد حذّر الإمام عليّ عليه السلام من أوّل الهوى وبداياته: «**إيّاكم وتمكّن الهوى منكم، فإنّ أوّله فتنة وآخره محنة**»[١]، وعنه عليه السلام: «**أوّل الشهوة طرب، وآخرها عطب**»[٢]، وعنه عليه السلام: «**إيّاكم وغلبة الشهوات على قلوبكم، فإنّ بدايتها ملكة، ونهايتها هلكة**»[٣]، وعنه عليه السلام: «**كم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً**»[٤].

فعلى الإنسان المؤمن أن يحذر الهوى كما يحذر أعداءه، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدى للرجال من اتّباع أهوائهم، وحصائد ألسنتهم**»[٥] و«**أشجع الناس من غلب هواه**»[٦] كما عن رسول الله.

مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوم يتشايلون حجراً، فقال: ما هذا؟ فقالوا: نختبر أشدّنا وأقوانا، فقال: ألا أخبركم بأشدّكم وأقواكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**أشدّكم وأقواكم الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرجه سخطه من قول الحقّ، وإذا ملك لم يتعاطَ ما ليس له بحقّ**»[٧].

فإذا كنّا نريد الجنّة فعلينا بنهي النفس عن الهوى، يقول سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[٨].

الأمر الثاني: طول الأمل

ينبغي الإلفات إلى أنّ أصل (الأمل) ليس فقط غير مذموم بل له دور مهمّ في إدامة حركة الحياة والتطوّر البشريّ في الأبعاد المادية والمعنوية.

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ١٠١.
(٢) م. ن، ص ١١٢.
(٣) م. ن، ص ١٠١.
(٤) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج ١٣، ص ٢٩٩.
(٥) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣٣٥.
(٦) جامع أحاديث الشيعة، ج ١٣، ص ٢٥٠.
(٧) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج١٥، ص٣٦١.
(٨) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ ـ ٤١.

إذا سُلب الأمل من قلب (الأُمّ) فإنّها لا تجد دافعاً لإرضاع طفلها وتحمُّل أنواع المشقّة والألم بتربيته وتنشئته كما ورد هذا المعنى في الحديث النبويّ الشريف «**اَلاَمَلُ رَحْمَةٌ لاُمَّتِي وَلَوْلاَ الاَمَلُ مَا رَضِعَتْ وَالِدَةٌ وَلَدَهَا وَلاَ غَرَسَ غَارِسٌ شَجَرَهَا**»(١).

إنّ من يعلم مثلاً بأنّ هذا اليوم هو آخر يوم من حياته أو أنّه سيموت بعد أيّام قليلة ويغادر الدنيا فإنّه سيترك جميع ما في يده من أعمال ونشاطات في دائرة المعيشة والعلاقات الإجتماعية. وفي الحقيقة فإنّ ذلك يعني انطفاء شعلة الحياة. ولعلّ أحد الأسباب لخفاء الأجل هو أن يبقى الإنسان في حالة الأمل والرجاء ويعيش الحركة الطبيعية في أمور المعيشة.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتّى يغرسها فليغرسها**»(٢).

وعن المسيح عليه السلام أنّه: «**بينما عيسى ابن مريم عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة ويثير الأرض، فقال عيسى عليه السلام: اللهمّ انزع منه الأمل، فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة، فقال عيسى: اللهمّ اردد إليه الأمل، فقام فجعل يعمل، فسأله عيسى عن ذلك، فقال: بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي: إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير؟ فألقيت المسحاة واضطجعت، ثم قالت لي نفسي: والله لا بدّ لك من عيش ما بقيت، فقمت إلى مسحاتي**»(٣).

ومن هنا قال الشاعر:

أعلّل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

فالأمل ضروري لإيجاد التحرّك أكثر لدى أفراد المجتمع من موقع النظر إلى المستقبل في حركة الحياة.

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٧٤، ص ١٧٣.

(٢) كنز العمال،المتقي الهندي، ج ٣، ص ٨٩٢.

(٣) انظر: بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ١٤، ص ٣٢٩.

ولكـنّ نفس هـذا الأمل الّذي يُعدّ رمز حركـة الإنسان وسعيه فـي حياته الدنيوية والمـاء الّذي يسقي أرض حياته الميّتة ويُنعش إحساساته وعواطفه بغد أفضل، نفس هـذا الأمل إذا تجاوز حدّه المرسوم أصبح على شـكل سيل مدمّر يأتي على الأخضر واليابس ويُغرق الإنسان في وحل حبّ الدنيا والظلم والجريمة والإثم.

يـروى عـن الإمام الكاظـم عليه السلام: «**اعمـل لدنيـاك كأنـك تعيش أبـداً، واعمل لآخرتـك كأنك تموت غـداً**»[١]. فالشطر الأول من الحديث يشير إلى الأمل الإيجابيّ لإعمـار الدنيـا، والشطر الثاني من الحديـث يشير إلى ضـرورة أن لا ينسى الإنسان الموت لإعمار الآخرة.

وقـد حذّر الإسلام من طول الأمل المذموم الذي يُنسي الآخرة، قال تعالى واصفاً الكفّـار: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[٢] وقـال سبحانه: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[٣].

وعـن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قولـه: «**أَرْبَعَةٌ مِـنَ الشَّقَاءِ جُمُـودُ الْعَيْنِ وَقَسَـاوَةُ الْقَلْبِ وَطُولُ الأَمَلِ وَالْحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا**»[٤].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**مَنْ اَطَالَ اَمَلَهُ سَاءَ عَمَلُه**»[٥].

وعن فاطمة بنت الحسين عليها السلام عن أبيها الإمام الحسين عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قـال: «**انَّ صَـلاَحَ اَوَّلِ هَـذِهِ الاُمَّةِ بِالزُّهْـدِ وَالْيَقِينِ وَهَـلاَكَ آخِرِهَا بِالشُّحِّ (بِالشَّكِّ) وَالاَمَلِ**»[٦].

---

(١) تحرير الأحكام، العلامة الحلي، ج ٢، ص ٢٤٩.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٣.
(٣) سورة الحديد، الآية: ١٦.
(٤) تفسير القرطبي، ج ٥، ص ٣٦١٨، ورد شبه له مع اختلاف يسير في بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ١٦.
(٥) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٧٠، ص ١٦٣.
(٦) م.ن، ج ٧٠، ص ١٦٤.

من العوامل المهمّة لانتصار المسلمين في صدر الإسلام الإيمان واليقين الراسخ بالإضافة إلى عدم اهتمامهم بزخارف الدنيا وبريقها، حيث تسبّب ذلك في أن يرد المسلمون الأوائل إلى ميدان القتال والجهاد بشجاعة فائقة وشوق بالغ فلم يكونوا يرون إلاّ الله تعالى والدار الآخرة.

ولكن عندما امتدّت إليهم الآمال الطويلة وملكتهم العلائق الدنيوية وخدعتهم ظواهر الدنيا حلّ الشكّ والترديد محلّ اليقين، والشغف بأُمور الدنيا محلّ الزهد، وبدأوا يتراجعون أمام أعدائهم ويسلكون سبيل التخلّف والانحطاط الحضاريّ والثقافيّ، فلا سبيل لهم اليوم لتجديد عظمتهم الأولى سوى إحياء اليقين والزهد وقصر الأمل وذكر الموت والآخرة وعدم نسيانهما.

ففي وصية رسول الله لأبي ذرّ: «**يا أبا ذرّ: إيّاك والتسويف بأهلك، فإنّك بيومك ولست بما بعده، فإن يكن لك غد فكن في الغد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غد، لم تندم على ما فرّطت في اليوم. يا أبا ذرّ: كم من مستقبل يوماً لا يستكمله، ومنتظر غداً لا يبلغه. يا أبا ذر: لو نظرت إلى الأجل ومصيره لأبغضت الأمل وغروره. يا أبا ذرّ: كن كأنّك في الدنيا غريب أو عابر سبيل، وعدّ نفسك من أصحاب القبور. يا أبا ذرّ: إذا أصبحت لا تحدّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح**»[1].

وفي رواية: أنّه اجتمع عبدان من عباد الله فقال أحدهما للآخر: ما بلغ من قصر أملك؟ فقال: أملي إذا أصبحت أن لا أمسي، وإذا أمسيت أن لا أصبح. فقال: إنّك لطويل الأمل. أما أنا فلا أؤمل أن يدخل لي نفَس إذا خرج، ولا يخرج لي نفَس إذا دخل.

ويروى أنّ حذيفة قال يوماً لرجل: أراك إذا دخلت الكنيف أبطأت في مشيتك وإذا خرجت أسرعت، فقال: أدخل وأنا على وضوء وأخرج وأنا على غير وضوء فأخاف أن

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ١، ص ٤٠٠.

يدركنــي الموت قبل أن أتوضّأ، فقال له حذيفــة: إنّك لطويل الأمل، لكنّي أرفع قدمي فأخاف أن لا أضع الأخرى حتّى أموت[١].

قــد لا تستطيعــون أن تكونــوا قصيري الأمل بهــذه الدقّة ولكن أعينــوا رسول الله والأئمة والأولياء قدر مستطاعكم.

أعاننــا الله علــى محاربة الهــوى وطول الأمــل، فانتصارنا عليهمــا مقدّمة مهمّة لانتصارنا على أعداء الله والإنسانية.

(١) أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين، ج٤، ص٦٠٣.

مطالعة

الاستغفار والتوبة الحقيقية

قال شخص بحضرة أمير المؤمنين عليه السلام: أَسْتَغْفِرُ اللهَ!

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، أَتَدْرِي مَا الاِسْتِغْفَارُ؟ إِنَّ الاِسْتِغْفَارَ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ، وَهُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَان:

أَوَّلُهَا: النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى.

وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً.

وَالثَّالِثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللهَ عزّ وجلّ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ.

وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَة عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا.

وَالْخَامِسُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالأَحْزَانِ، حَتَّى يَلْصِقَ الْجِلْدُ بِالْعَظْمِ، وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ.

وَالسَّادِسُ: أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلاَوَةَ الْمَعْصِيَةِ.

فَعِنْدَ ذلِكَ تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ[1].

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤١٧.

6

الوفاء توأم الصدق

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«أيّها النّاس إنّ الوفاء توأم الصّدق و لا أعلم جُنّةً أوقى منه. ولا يَغْدِرُ من علم كيف المرجع. ولقد أصبحنا في زمان قد اتّخذ أكثر أهله الغدر كَيْساً و نسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة. ما لهم قاتلهم الله، قد يرى الحُوّلُ القُلّب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدّين».

نهج البلاغة، الخطبة ٤١.

الجُنّة: بضم الجيم: الوقاية.
الكيس: العقل.
الحوّل: البصير بتحويل الأمور.
القلّب: الخبير بتقلّبها.
ينتهز: يبادر.
الحريجة: التحرّز.

نقض العهد من الكبائر

إنّ قضيــة الوفــاء بالعهــد والميثــاق تعتبــر واحــداً من أهــم مستلزمــات الحياة الاجتماعيــة، إذ بدونها لا يتمّ أيّ نوع مــن التعاون والتكافل الاجتماعيّ، وإذا فقد نوع البشر هذه الخصلة فقدوا بذلك حياتهم الاجتماعية وآثارها أيضاً.

ولهذا تؤكّد مصادر التشريع الإسلاميّ ـ بشكل لا مثيل له ـ على قضيّة الوفاء بالعهود التــي قد تكون مــن القضايا النوادر التي تمتاز بهذا النوع مــن السعة والشمولية، لأنّ الوفــاء لو انعــدم بين أبناء المجتمــع الواحد لظهرت الفوضى وعــمّ الاضطراب فيه وزالت الثقة العامّة. وزوال الثقة يعتبر من أكبر وأخطر الكوارث.

ونقض العهد من الكبائر، وقد استَشْهَدَ الإمام الصادق عليه السلام لاعتبار هذا الذنب مــن الكبائــر بقولــه تعالــى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[1]. وفــي أكثر من موضع في القرآن الكريــم، اعتبر الوفاء بالعهد واجباً، يقول تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾[2].

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[١].

﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ﴾[٢].

والروايات في قبح نقض العهد كثيرة منها:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا دين لمن لا عهد له**»[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الخُلف يوجب المقت عند الله وعند الناس، قال تعالى:** ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[٤]»[٥].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**أربعة أسرع شيء عقوبة: رجل أحسنت إليه ويكافئك بالإحسان إليه إساءة. ورجل لا تبغي عليه وهو يبغي عليك، ورجل عاهدته على أمر فمن أمرك الوفاء به ومن أمرِه الغدر بك. ورجل يصل قرابته ويقطعونه**»[٦].

إنّ قبح نقض العهد من الشناعة بحيث لا أحد على استعداد لأن يتحمّل مسؤوليته بصراحة إلاّ النادر من الناس حتّى أنّ ناقض العهد يلتمس لذلك اعذاراً وتبريرات مهما كانت واهية لتبرير فعلته.

نقض العهد على نحوين

١ـ نقص العهد مع الله تعالى:

﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾[٧].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٣) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٩٦.

(٤) سورة الصف، الآية: ٣.

(٥) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج ٥، ص ١٦٨.

(٦) الخصال، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٢٣٠.

(٧) سورة الأعراف، الآيتان: ١٧٢ ـ ١٧٣.

إنَّ الله تعالى خلق أرواح البشر في عالمٍ قبل الحياة الدنيا بنحو لديهم إدراك وشعور ولياقة للمخاطبة والمكالمة، وأخذ منهم إقراراً بربوبيّته، وعهداً بأن يثبتوا على ذلك ولا يشركوا به ولا ينحرفوا عن رسالات الأنبياء، ولا يتّبعوا الشيطان، وعاهدهم الله تعالى في مقابل ذلك على أن يعينهم ويرحمهم ويسكنهم جنّته، وإذا لم يفوا بما عاهدوا الله عليه في ذلك العالم لم يعطهم ما عاهدهم عليه. ونقض العهد الإلهيّ من الذنوب الكبيرة.

ومن أنواع العهد مع الله تعالى أن يقول مثلاً: عاهدت الله، أو عليّ عهد الله أن أفعل كذا أو أترك كذا، إذا رُزقت العافية أو رجعت من السفر سالماً أن أدفع مبلغاً ما للفقير.

فالعهد مع الله إذا تحقّقت شروطه الموجودة في كتب الفقه يجب الالتزام به. وقد ذمّ الله تعالى من ينقض العهد مع الله بقوله: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[1].

وقد وصف الله تعالى من ينقض العهد معه بقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾[2].

الآية تشير إلى (رايطة) تلك المرأة التي عاشت في قريش زمن الجاهلية، وكانت هي وعاملاتها يعملن من الصباح حتّى منتصف النهار في غزل ما عندهنّ من الصوف والشعر، وبعد أن ينتهين من عملهنّ تأمرهنّ بنقض ما غزلن، ولهذا عُرفت بين قومها بـ (الحمقاء)[3].

(١) سورة التوبة، الآيات: ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٢.

(٣) انظر: التفسير الأمثل، الشيخ مكارم الشيرازي، ج٨، ص٣٠٥.

فما كانت تقوم به (رايطة) لا يمثّل عملاً بلا ثمر ـ فحسب ـ بل هو الحماقة بعينها، وكذا الحال بالنسبة لمن يبرم عهداً مع الله وباسمه، ثمّ يعمل على نقضه، فهو ليس بعابث فقط، وإنّما هو دليل على انحطاطه وسقوط شخصيته.

٢ ـ معاهدة الناس

فيجب الوفاء بالعهود معهم ويحرم نقضها كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٢]، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[٣].

وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفِ إذا وعد**»[٤].

فهو يشمل العهود والمواثيق الخاصّة بين الأفراد في القضايا الاقتصادية والمعاشية، وفي العمل والزواج، وهو يشمل أيضاً المواثيق والمعاهدات بين الحكومات والشعوب.

خلف الوعد من صفات اليهود والمنافقين

وقد ذمّ الله تعالى اليهود لاتّصافهم بصفة نقض العهود مع الله ومع الناس، يقول تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾[٥].

نزلت هذه الآية في يهود بني قريظة الذين عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يعينوا أعداء الإسلام، ثمّ نقضوا عهدهم في معركة بدر حيث زوّدوا المشركين بالسلاح، ثمّ قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نسينا عهدنا، وعاهدوه مرّة ثانية ثم نقضوا عهدهم

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٨.
(٤) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٤٩.
(٥) سورة الأنفال، الآيتان: ٥٥ ـ ٥٦.

فـي معركـة الخنـدق، حيث اتّحدوا مـع أبي سفيان فـي حربه ضـدّ رسول اللّه ﷺ. وقـد ورد عـن رسول اللّه ﷺ فـي صفات المنافق: «**ثـلاث من كنَّ فيـه كان منافقاً وإن صـام وصلّـى وزعـم أنّه مسلـم: من إذا ائتُمن خـان، وإذا حدّث كـذب، وإذا وعد أخلف**»(١).

احترام المعاهدة

إنّ الوفاء بالعهد لا يختصّ بالمسلمين فيما بينهم فقط بل ينبغي لهم أن يفوا بما عاهدوا عليه غير المسلمين.

عـن الإمام الصادق عليه السلام: «**ثلاثة لـم يجعل لأحد فيها رخصـة: برّ الوالدين برّيـن كانـا أو فاجريـن، والوفـاء بالعهـد للبـرّ والفاجـر وأداء الأمانـة إلـى البـرّ والفاجر**»(٢).

وبعـد اقتـدار المسلمين وقـوّة شوكتهـم أمر اللّه تعالـى في سورة بـراءة بجهاد المشركيـن وتطهير مكّة المعظّمـة من الشرك وعبادة الأصنـام لكنّه استثنى أولئك المشركين الذين كان بينهم وبين المسلمين معاهدة.

قـال سبحانـه: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٣).

والشواهـد كثيـرة مـن تاريـخ رسـول اللّه ﷺ على مزيـد اهتمامـه ﷺ بالوفاء بالعهد.

مـن جملـة تلك الشواهـد ما حدث فـي صلح الحديبيـة بينه ﷺ وبيـن مشركي مكّـة، والّذي يقضي أنَّ من حقِّ قريشـ أن تقبل من يلجأ إليها من المسلمين ولا يحقّ للمسلمين أن يقبلوا من يلجأ إليهم من قريش.

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٢٩١.
(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ١٢٨.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٤.

يروي أبــو رافع: أرسلتني قريش إلى رسول الله ﷺ فلّما رأيته أشرق في قلبي نور الإسلام فقلت: يا رسول الله ﷺ، لا أعود إلى قريش.

فقال ﷺ: «**إنّي لا أخالف عهداً عاهدته، ارجع إليهم**».

ولكنّ المؤسف أنّه بعد رسول الله جاء من يتسمّى باسم المسلمين ولكنّه لا يحفظ عهــداً، أمثال معاويــة وعمرو بن العاص حيث كانا ينتهــزان الفرصة من أوّل الحرب في صفّين في إجراء الحيلة برفع المصاحف فلمّا ظهرت لهما آثار الفتح والغلبة من الإمام عليّ عليه السلام و أصحابه تمسّكا بالقرآن حيلة منهما، ثمّ بعد هذه القضيّة وقبلها لــم يعملا بــه أصلاً كما هو شأن الخائــن. وأنت إذا تأمّلت المقــام وتصفّحت الكتب تعلم أنّ الغدر في الأمور من صدر الخلقة ووجود البشر في هذه الدّنيا كان بمعزل عن الأنبياء والأوصياء والصّلحاء بل كان أنيساً رفيقاً للفجّار والفسّاق. وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام: «**وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدّين**».

وقضيّة صلح معاوية مع الإمام الحسن ونقض معاوية لبنود الصلح معروفة تاريخياً.

فلسفة احترام العهد

كمــا هو معلوم فــإنّ الثقة المتبادلة بين أفــراد المجتمع تمثّل أهــمّ دعائم رسوخ المجتمع، بل من دعائم تشكيل المجتمع وإخراجه من حالة الآحاد المتفرّقة وإعطائه صفــة التجمّــع، بالإضافــة لكــون أصل الثقــة المتبادلة يعتبــر السند القويــم للقيام بالفعاليات الاجتماعية والتعاون على مستوى واسع.

والعهد والقسم من مؤكّدات حفظ هذا الارتباط وهذه الثقة، وإذا تصوّرنا مجتمعاً كان نقض العهــد فيه هــو السائد، فمعنــى ذلك انعــدام الثقة بشكل عــامّ في ذلك المجتمــع، وعندها سوف يتحوّل المجتمع إلــى آحاد متناثرة تفتقد الارتباط والقدرة والفاعلية الاجتماعية.

ولهــذا نجد أنّ الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة تؤكّد باهتمام بالغ على مسألة

الوفاء بالعهد والأيمان، وتعتبر نقضها من كبائر الذنوب.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهمية هذا الموضوع في الإسلام والجاهلية واعتبره من أهمّ المواضيع في قوله عند عهده لمالك الأشتر «**فإنّه ليس من فرائض الله شيء الناس أشدّ عليه اجتماعاً من تفرّق أهوائهم وتشتّت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر**»[١].

وجملة «**لما استوبلوا من عواقب الغدر**» معناها: لما نالهم من وبال من عواقب الغدر.

ونجد في أحكام الحرب الإسلامية أنّ إعطاء الأمان من قبل فرد واحد من جيش المسلمين لشخص أو كتيبة من كتائب العدوّ يوجب مراعاة ذلك على كلّ المسلمين!

نُقل عن الإمام عليّ عليه السلام أنّ العهد حتّى لو كان بالإشارة يجب الوفاء به، وذلك في قوله عليه السلام: «**إذا أومى أحد من المسلمين أو أشار إلى أحد من المشركين، فنزل على ذلك فهو في أمان**»[٢].

من الآثار السلبية لنقض العهود والأيمان شياع سوء ظنّ الناس وتنفّرهم من الدين الحقّ، وتشتّت الصفوف وفقدان الثقة حتّى لا يرغب الناس في الإسلام، وإنْ عقدوا معهم عهداً فسوف لا يجدون أنفسهم ملزمين بالوفاء به. وهذا ما يؤدّي لمساوئ ومفاسد كثيرة وبروز حالة التخلّف في الحياة الدنيا.

يقول المؤرّخون والمفسّرون: من جملة الأُمور التي جعلت الكثير من الناس في صدر الإسلام يعتنقون هذا الدين الإلهيّ العظيم هو التزام المسلمين الراسخ بالعهود والمواثيق ورعايتهم لأيمانهم.

---

(١) نهج البلاغة، الرسالة ٥٣.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٢، ص ٢٥٠.

ونظـراً لما لهذا الأمر من أهميّـة قال سلمان الفارسيّ: «**تهلك هذه الأُمّة بنقض مواثيقها**»(١).

أيْ أنّ الوفـاء بالعهد والميثاق كما أنّه يوجب القـدرة والنعمة والتقدّم، فنقضهما يؤدّي إلى الضعف والعجز والهلاك.

والـكلام الذي يجري علـى الوفاء يجري على الصدق فإنّهمـا توأمان كما قال الإمام عليه السلام.

فالصـدق من علامات صدق الإيمـان ورأسه، عن الإمام علـيّ عليه السلام: «**الصدق أقوى دعائم الإيمان**»(٢).

وعنـه عليه السلام: «**الصدق رأس الديـن**»(٣). وعنه عليه السلام: «**الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرُّك، على الكذب حيث ينفعك**»(٤).

وعـن الإمـام الصادق عليه السلام: «**لا تغترّوا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإنّ الرجل ربّما لهج بالصلاة والصوم حتّى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة**»(٥).

هـذا وطريق الصـدق هو طريق الأنبيـاء والأولياء الربّانيين، حيـث كانوا يتجنّبون كلَّ كـذب وغشٍّ وخداع وحيلة في أفكارهم وأقوالهم وأعمالهم، وهذا بخلاف شياطين الإنس من الزعماء والرؤساء والملوك الذين ديدنهم الكذب والخداع والغشّ، وهذا من أسباب فشل المسلمين، ذلك أنَّهـم اتّبعوا شياطين الإنس الكاذبين وتركوا الأشخاص الصادقيـن، فـي حين أنَّ الله تعالـى أمرنا أن نكون مـع الصادقين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(٦).

---

(١) مجمع البيان، في تفسير الآية (٩٤).
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي، حكمة٤٣١٠.
(٣) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٢٥.
(٤) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج١٢، ص٢٥٥.
(٥) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص١٠٤.
(٦) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

مطالعة

أنين عقيل من حرارة الحديد

كان لفاطمة بنت أسد، أُم عليّ عليه السلام، أربعة أولاد، وهم على الترتيب: طالب، عقيل، جعفر، وعليّ عليه السلام، وكان عقيل ثاني أبناء أبي طالب واعياً وشجاعاً وسريع الجواب، وكان حاضراً في معركة صفّين مع أمير المؤمنين عليه السلام. وكما وقف عقيل مع أخيه الإمام عليّ عليه السلام ضدّ أعدائه، وقف ابنه مسلم بن عقيل مع ابن عمّه الإمام الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء.

يقول الإمام عليّ عليه السلام في خطبة له:

«وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتماحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الأَلْوَانِ، مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمَعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ، مُفَارِقاً طَرِيقِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا، فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ، يَا عَقِيلُ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ! أَتَئِنُّ مِنَ الأَذَى وَلاَ أَئِنُّ مِنْ لَظىً؟!»[1].

سأل معاوية عقيلاً يوماً عن قصّة الحديدة المحماة، فبكى وقال: نعم، أقويت وأصابتني مخمصة شديدة، فسألته فلم تندّ صفاته، فجمعت صبياني وجئته بهم، والبؤس والضرّ ظاهران عليهم. فقال: ائتني عشيّة لأدفع إليك شيئاً، فجئته يقودني أحد ولَدي فأمره بالتنحّي، ثمّ قال: ألا فدونك! فأهويت حريضاً قد غلبني الجشع أظنّها صرّة، فوضعت يدي على حديدة تلتهب ناراً! فلما قبضتها نبذتها وخرّت كما

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١١، ص٢٤٥.

يخـور الثـور تحت يد جازره، فقال لي: ثكلتك أُمّك! هذا مـن حديدة أوقدت له[١] نار الدنيـا، فكيـف بي وبك غـداً إن سلكنا في سلاسل جهنم؟ ثـمّ قرأ: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾[٢] ثـمّ قال: ليس لك عندي فـوق حقّك الّذي فرضه الله لك إلاّ ما ترى، فانصرف إلى أهلك.

فجعل معاوية يتعجّب ويقول: هيهات! هيهات! عقمت النساء أن يلدن مثله[٣].

(١) وفي رواية «لها».

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

(٣) مواقف الشيعة، الأحمدي الميانجي، ج١، ص ٢٣٤.

7

لا تسألوا فوق الكفاف

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«الْحَمْدُ لِلّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلَا مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ وَلَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ.

وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضْرَاءُ وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ وَالْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّاظِرِ فَارْتَحِلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ».

نهج البلاغة، الخطبة ٤٥.

معنى القناعة

الرضا بالكفاف يعني القناعة «**والقناعة... الرضا بالقسم... وفي الحديث: «القناعة كنز لا يفنى»؛ لأنّ الإنفاق منها لا ينقطع، كلّما تعذر عليه شيء من أمور الدنيا قنع بما دونه ورضي. وفي الحديث: «عزّ من قنع وذلّ من طمع، لأنّ القانع لا يذلّه الطلب فلا يزال عزيزاً... وفي المثل: خير الغنى القنوع، وشر الفقر الخضوع...**»[1].

فالقناعة لغة هي الرضا بالقسم، وهو يلتقي مع معناها في المرتكزات الشرعية حيث تعني القناعة: أن يقنع الإنسان بما قسم الله له من الأمور الدنيوية، بمعنى أنّ الإنسان إذا كانت طاقته لا تتحمَّل أن يتقدّم مادياً، وظروفه لا تساعده، فعليه أن يقنع بما هو عليه من المستوى الماليّ، إلى أن يفتح الله عليه باباً من أبوابه الحلال. وهذا لا يعني أن لا يسعى الإنسان إلى تحسين حاله المادّيّ إن استطاع عن طريق الكسب الحلال.

ولا تعمُّ القناعة الأمور المعنوية، فالإسلام دعا المسلمين إلى التزوّد والتنافس

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٨، ص٢٩٨.

في الأمور المعنوية، كالعلم والإيمان والتقوى والخصال الأخلاقية الحميدة.

قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[٢].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**إن كنتم لا محالة متنافسين، فتنافسوا في الخصال الرغيبة**»[٣].

المجتمع الغربيّ والحرص

وإذا أردنا أن نعرف أهميّة صفة القناعة، فما علينا إلّا أن ننظر إلى المجتمعات المادية، كالمجتمعات الغربية (أوروبا وأمريكا)، فإنّ هذه المجتمعات لا قناعة فيها، وقيمها قيم مادية، يتنافس الناس في هذه البلاد على جمع الأموال وتحصيل المناصب، ويتكالبون على الدنيا نهماً وشراسة، لذلك وقع هذا المجتمع في أمراض روحية ونفسية وسلوكية خطيرة.

وإليكم تقرير يشهد لما نقول: ففي إحصاء صدر في الولايات المتحدة الأميركية «**أنّ أكثر من ٦٪ من السكّان يعانون نوعاً من سوء التوافق (أي تعب نفسيّ)، وأنّ واحداً من كلّ عشرة من السكّان يحتاج إلى معونة الطبيب النفسيّ إن عاجلاً أو آجلاً، وأنّ واحداً من كلّ ثمانية عشر شخصاً ينفق بعض الوقت في مشفى عقليّ، وأنّ عدد من يدخلون في المشافي في كلّ عامّ يساوي عدد من يتخرّجون من الجامعات، وأنّ المصابين بأمراض عقلية أي جنون يشغلون من أسرّة المشافي أكثر مما يشغله جميع المرضى بكافّة الأمراض الأخرى، وأنّ نصف من يتردّدون على أطبّاء لعلل جسمية يعانون في الواقع من اضطرابات نفسية**»[٤].

---

(١) سورة المطففين، الآية: ٢٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٣) ميزان الحكمة، الري شهري، مج٣، ص١٤٦، ح٥٠٤٢.

(٤) الصحة النفسية، د. مصطفى فهمي، ص٧.

فمن هذا التقرير نشهد مدى ما يعانيه المجتمع الغربيّ من متاعب نفسية وأمراض نفسيــة، وما ذلــك إلّا لأنّهم يحبّون المال حبّاً جمّاً ويحرصون على جمعه والاستزادة منه، تاركين التنافس على المعنويات.

فالمجتمع الغربيّ لا يعيش الحياة الطيّبة التي تسبّبها القناعة. سُئل الإمام عليّ عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾[١]، قال: «**هي القناعة**»[٢]. فمن الأمور المهمّة فــي طمأنينة الروح، وسعادة الحياة، وطيب العيش، وراحة البال، القناعة الّتي هي كنز لا ينفد.

آفات الحرص

ولعــدم القناعة علــى مستوى الفرد (والتــي تنسحب على المجتمــع) آفات كثيرة منها:

١- **الغــمُّ فــي الدنيا:** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**مثــل الحريص على الدنيا كمثل دودة القزّ كلّما ازدادت على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتّى تموت غمّاً**»[٣].

٢ -**الحسد:** فإنّ من لا يقنع بما رزُق، فمن المحتمل أن يقع في آفّة الحسد. والوقاية من آفّة الحسد والطمع سكينة وعافية، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**صحّة الجسد مــن قلّة الحسد**»[٤]. أمّا الطمــع فصاحبه طول حياته هائم وحائر، كيف يجمع ويدَّخر.

٣ -**الوقــوع فــي الشّرّ:** فغير القانع ربَّما يسلــك مسالك منحرفة لكي يحصل على الأموال، فربّما يسرق أو يغصب أو يقتل، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**خير المؤمنين**

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.
(٢) ميزان الحكمة، الري شهري، ح١٧١٢٤.
(٣) جامع السعادات، الشيخ النراقي، ج٢، ص١٠٣.
(٤) فلسفة الأخلاق في الإسلام، الشيخ محمد جواد مغنية، ص٢٠٨.

القانع، وشرّهم الطامع»[١].

٤- **فساد النفس:** يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**أعون شيء على صلاح النفس القناعة**»[٢]، فالحرص لا يساعد على صلاح النفس.

٥- **ذلّة النفس:** في الحديث: «**ثمرة القناعة العزّ**»[٣] فمن لا يقنع يذلّ نفسه.

إلى كثير من الآفّات التي تشكّل خطورة كبيرة على حياة الإنسان الدنيوية ومصيره في الآخرة.

علاج الحرص والطمع (عدم القناعة)

١ - أن تعرف مضارّ عدم القناعة، وتأخذ العبرة من المجتمعات والأشخاص المبتلين بعدم القناعة.

٢ - أن لا تطلب فوق طاقتك، وفوق ظروفك، بمعنى أن ترضى بما قسم الله لك، وبما أعطاك من طاقة، وهيّأ لك من ظروف.

٣ - أن يكون اهتمامك في المعنويات، وتنافسك في معالي الأخلاق، لا في اكتساب الأموال.

٤ - أن تأخذ بنصيحة الإمام الصادق عليه السلام: «**أنظر إلى من هو دونك في المقدرة ولا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة، فإنّ ذلك أقنع لك بما قسم لك**»[٤].

ونصيحة أخرى للإمام الصادق عليه السلام، فقد جاءه شخص يشكو إليه عدم القناعة فقال له: «**إن كان ما يكفيك يغنيك فأدنى ما فيها يغنيك، وإن كان**

(١) ميزان الحكمة، الري شهري، حديث ١٧١٤٢.
(٢) م. ن، حديث ١٧١٦١.
(٣) م. ن، حديث ١٧١٦٠.
(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج٨، ص٢٤٤.

ما يكفيك لا يغنيك فكلّ ما فيها لا يغنيك»[١].

٥ - أن تعرف أنّ الله يوم القيامة لا ينظر إلى الأموال بل ينظر إلى الأعمال الخالصة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٢].

عن النبيّ الأكرم: «**اقنع بما أوتيته يخف عليك الحساب**»[٣].

خاتمة

إذا أردتم راحة الدنيا قبل الآخرة، وسعادة الأولى قبل الآخرة، فما عليكم إلّا بالتمسُّك بصفة القناعة في المادّيات.

وإن كنتم لا تقنعون، فلتكن عدم قناعتكم في المعنويات، فلتتنافسوا فيها، لتعمر نفوسكم وعقولكم بالغنى، فإنّ الغنى الحقيقيّ هو غنى المعنويات، لا غنى المادّيات.

عن نوف البكاليّ قال: «**بتّ ليلة عند أمير المؤمنين عليه السلام فكان يصلّي الليل كلّه، ويخرج ساعة بعد ساعة فينظر إلى السماء ويتلو القرآن، قال: فمرّ بي بعد هدوء من الليل، فقال: يا نوف أراقد أنت أم رامق؟ قلت: بل رامق أرمقك ببصري يا أمير المؤمنين، قال: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة أولئك الذين اتّخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن دثاراً، والدعاء شعاراً، وقرضوا من الدنيا تقريضاً، على منهاج عيسى ابن مريم عليه السلام ...**»[٤].

وقال عليه السلام: «**طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل للحساب، وقنع بالكفاف، ورضي عن الله**»[٥].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص١٣٩.
(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ ـ ٨٩.
(٣) ميزان الحكمة، الريشهري، حديث ١٧١٦٨.
(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٦٦، ص٢٧٥.
(٥) نهج البلاغة، الحكمة٤٤.

مطالعة

طلب المزيد والكمال المطلق

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «لا يخفى على كلّ ذي وجدان أنّ الإنسان، بحسب فطرته... يعشق الكمال التامّ المطلق، ويتوجّه قلبه شطر الجميل على الإطلاق والكامل من جميع الوجوه، وهذا من فطرة الله التي فطر الناس عليها...

غير أنّ كل امرىء يرى الكمال في شيء ما، حسب حاله ومقامه، فيتوجّه قلبه إليه، فأهل الآخرة يرون الكمال في مقامات الآخرة ودرجاتها، فقلوبهم متوجّهة إليها. وأهل الله يرون الكمال في جمال الحقّ، والجمال في كماله...

وأهل الدنيا عندما رأوا أنّ الكمال في لذائذها، وتبيّن لأعينهم جمالها، اتّجهوا فطرياً نحوها. ولكن على الرغم من كلّ ذلك، فإنّه لمّا كان التوجّه الفطريّ والعشق الذاتيّ قد تعلّق بالكمال المطلق، كان ما عدا ذلك من التعلّقات عرضياً ومن باب الخطأ في التطبيق.

إنّ الإنسان مهما كثُر ملكه... ومهما نال من الملكات النفسية أو الكنوز الدنيوية أو الجاه والسلطان، ازداد اشتياقه شدّة، ونار عشقه التهاباً.

فصاحب الشهوة، كلّما ازدادت أمامه المشتهيات، ازداد تعلّق قلبه بمشتهيات أخرى ليست في متناول يده، واشتدّت نار شوقه إليها.

كذلك النفس التي تطلب الرئاسة، فهي عندما تبسط لواء قدرتها على قطر من الأقطار، تتوجّه بنظرةٍ طامعة إلى قطر آخر، بل لو أنّها سيطرت على الكرة الأرضية برمّتها، لرغبت في التحليق نحو الكرات الأخرى للاستيلاء عليها.

إلا أنّ هذه النفس المسكينة لا تدري بأنّ الفطرة إنّما تتطلّع إلى شيء آخر... إنّه لمّا كان الإنسان متوجّهاً قلبياً إلى الكمال المطلق، فإنّه مهما جمع من زخرف الحياة فإنّ قلبه يزداد تعلّقاً بها. فإذا اعتقد أنّ الدنيا وزخارفها هي الكمال

ازداد ولعه بها، واشتدّت حاجته إليها، وتجلّى أمام بصره فقره إليها، بعكس أهل الآخرة الذين أشاحوا بوجوههم عن الدّنيا، فكلّما ازداد توجّههم نحو الآخرة، قلّ التفاتهم واهتمامهم بهذه الدنيا، وتلاشت حاجتهم إليها، وظهر في قلوبهم الغنى، وزهدوا في الدنيا وزخارفها، كما أنّ أهل الله مستغنون عن كلا العالَمَيْن (الدنيا والآخرة)،... وكلّ حاجتهم نحو الغنيّ المطلق...»[1].

(١) الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، الحديث ٦، ص ١٢٦- ١٢٧.

8

الأهل والعشيرة

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ وَ إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عَشِيرَتِهِ وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَلْسِنَتِهِمْ وَ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ وَ أَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ وَ أَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ وَ لِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يَرِثُهُ غَيْرُهُ.... وَ مَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ وَ مَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ».

نهج البلاغة، الخطبة٢٣.

الحيطة: بفتح الحاء- الرعاية، وبكسرها الصيانة: والمعنيان متقاربان.

الشعث: بفتح العين- التفرّق. والنازلة: المصيبة.

لسان الصدق: حسن الذكر بالحقّ..

الحاشية: الجانب والجناح.

الإسلام دين التواصل

إنّ من يراجع مصادر الإسلام، من خلال القرآن الحكيم والأحاديث الشريفة، يرَ بكلّ وضوح وجلاء، حقيقة وهي: أنّ كثيراً من وصايا الإسلام وواجباته وأحكامه تدعو إلى إزالة الحجب والحواجز القائمة بين الناس جماعات وأفراداً.

يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1].

فالقاعدة الأولية في الإسلام هي التعارف والتعاون وتبادل الخبرات بين الأمم فلا ينبغي للمسلمين التقاطع والتحارب مع الشعوب الأخرى، بل السلام والوئام هما الحاكمان على علاقات المسلمين مع غيرهم.

فالإسلام لا يخاف أيّ فكر آخر؛ لأنّه يملك الحجّة والدليل والبرهان على صدقيّته، وإنّما يخاف مَن لا منطق عنده ولا حجّة.

وكما دعا الإسلام إلى الوئام مع غير المسلمين فبالضرورة دعا إلى ذلك بين المسلمين أنفسهم.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[2].

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

وعـن رسول اللّه: «**مثـل المؤمنين في توادّهم وتراحمهـم كمثل الجسد الواحد إن اشتكى منه عضو تداعت سائر الأعضاء بالسهر والحمّى**»[١].

فإذا ما تكاتف المجتمع داخلياً، وأمِن من داخله، فحينئذ من السهولة أن ينتصر علـى أعدائه، أمّا إذا كان المجتمع مقاطعـاً بعضه بعضاً، فحينئذ على هذا المجتمع السلام، ولن يستطيع أن ينتصر على أعدائه.

والتاريخ الإسلاميّ يؤكّد لنا هذه الحقيقة، أنّ المسلمين تراجعوا حينما تقاطعوا، وإذا أرادوا الرجوع إلى ميدان قيادة الأمم فما عليهم إلّا أن يتواصلوا ويتكاتفوا.

وهـذا التواصل ينبغـي أن يبدأ في العشيـرة والأسرة والعائلـة، أي بين الأرحام، ليكـون البيت الداخلي آمناً، ومن ثمَّ ينجرّ الكلام إلـى الوحدة والتواصل الاجتماعيّ الإسلاميّ بشكل عام والإنسانيّ بشكل أعمّ.

وهذا الجانب من العلاقة الحسنة مع العشيرة هو ما يدعو إليه أمير المؤمنين.

بين العصبية وصلة الرحم

رغـم أنّ الإسـلام دعا إلـى التواصل والمرحمـة، لكنّه في الوقـت نفسه نهى عن التعصُّب الأعمى للعائلة والأرحام.

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «**العصبية واحدة من السجايا الباطنية النفسانية، ومـن آثارهـا الدفاع عـن الأقرباء، وجميع المرتبطين بـه وحمايتهم، بما في ذلك الارتباط الدينيّ أو المذهبيّ أو المسلكيّ، وكذلك الارتباط بالوطن وترابه...**

والعصبية من الأخلاق الفاسدة والسجايا غير الحميدة، وتكون سبباً في إيجاد مفاسد في الأخلاق وفي العمل...

إنّ المرء إذا تعصّب لأقربائه أو أحبّته ودافع عنهم، فما كان بقصد إظهار الحقّ ودحض الباطل، فهو تعصّب محمود ودفاع عن الحقّ والحقيقة...

(١) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ٤، ص ٢٨٣٧.

أما إذا تحرّك بدافع قوميته وعصبيته بحيث أخذ بالدفاع عن قومه وأحبّته في باطلهم وسايرهم فيه ودافع عنهم، فهذا شخص تجلّت فيه السجيّة الخبيثة، سجيّة العصبية الجاهلية، وأصبح عضواً فاسداً في المجتمع... وصار في زمرة أعراب الجاهلية...»[١].

جاء في الكافي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**من تعصَّب أو تعصِّب له فقد خُلِع رِبقُ الإيمان من عنقه**»[٢].

وعنه عليه السلام قال: «**من تعصّب عصّبه الله بعصابة من النار..**»[٣].

فصلة الرحم والأقرباء والتعاون معهم والتكافل مطلوبة إسلامياً، ولكن إذا كان التعاون معهم على الباطل والظلم فهذا غير مطلوب، يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[٤].

وقد أمرنا الله تعالى في كتابه الكريم، أن لا نكون متعصِّبين لمن يمتُّ إلينا بصلة القربى، وأن يكون رائدنا هو الحقّ والعدل، وأن نقول الحقّ ولو على أرحامنا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ﴾[٥].

أسباب القطيعة

هناك أسباب عديدة تؤثّر سلباً على علاقات الناس وتواصلهم، وتنسحب هذه الأسباب على علاقات الأقارب والأرحام منها:

١ - سيطرة روح المادّية على المجتمع والأفراد، مما يسبِّب تمحور كلّ إنسان حول ذاته، بالشكل الذي يؤدّي إلى عدم الاهتمام بالآخرين. وهذا ما نراه في

(١) الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، الحديث ٨، ص١٤٣.
(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٣٠٧.
(٣) م. ن، ج٢، ص ٣٠٨.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٢.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

المجتمعات الغربية التي لا تقيس علاقاتها مع الآخرين إلّا بالقياس المادّي، ويختصرون علاقاتهم بقياس الجيب وما يحويه من المال.

وهذه الروح المادّية رفضها الإسلام العزيز، داعياً إلى عدم الاستغراق في حبِّ الدنيا، وحبِّ المال، المؤدّيين إلى كثير من المساوئ، ومنها قطع الرحم.

إنّنا نرى كثيراً من الأغنياء المنكبّين على جمع المال، لا يتواصلون مع أقاربهم، وما ذلك إلّا لأنّهم فقراء، لا يستفيدون منهم شيئاً، بمقياس الجيب والمصالح المادّية.

وهذا ما نبّه عليه أمير المؤمنين عليه السلام: «**أيّها الناس إنّه لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه... ومن يقبض يده عن عشيرته فإنّما تقبض منه عنهم يد واحدة وتقبض منهم عنه أيد كثيرة**»[١].

٢ - **التكبُّر**: يؤدّي بالإنسان الذي تغلّب عليه حبّ العظمة، إلى التكبُّر على الآخرين واحتقارهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبّة من كبر**»[٢]. وإذا كان التكبُّر مذموماً في الإسلام، فإن التكبُّر على ذي الرحم أشدُّ قبحاً؛ فكم نرى غنياً، أو ذا جاه، لا يصل رحمه الفقير أو الذي لا جاه له، ولا يعرف له قرابته ويتكبَّر عليه، أمّا إذا رأى رحمه الغنيّ الوجيه احترمه، وهذا في الحقيقة ليس صلة للرحم، بل اعتناء بالمال والمصالح الضيّقة، لا بشخص الرحم، فهذا قد احترم المال ولم يحترم قريبه، ألا يعلم هذا المتكبِّر أنّ الله ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٣].

٣ - **سوء الظنّ**: وهو مسبِّب للكثير من العداوات والأحقاد، وكم من أخوين تقاطعا لأنّهما أساءا الظنّ؟ وكم من عائلات وأسر تفكّكت بسبب هذه الخصلة المدمِّرة؟

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة٢٣.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣١٠.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٨.

ولذلك حذّرنا الله من هذه الرذيلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[١].

والأحاديث في هذا الصدد كثيرة منها ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال: أمير المؤمنين عليه السلام: «**ضع أمر أخيك على أحسنه حتّى يأتيك ما يغلبك منه ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً**»[٢].

٤ - **الحسد**: وهو أيضاً ماحق للدِّين، ومقطِّع أوصال الأحبّة والمؤمنين، ولقد حذّرتنا الشريعة الإسلامية من هذه الخصلة.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٣].

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[٤].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لأصحابه: «**ألا إنّه قد دبّ إليكم داءُ الأمم من قبلكم وهو الحسد ليس بحالق الشعر لكنه حالق الدين**»[٥].

ألم يكن الحسد سبباً لقتل قابيل لأخيه هابيل؟ فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**والحسد أصله من عمى القلب... وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً...**»[٦].

ألم يحاول إخوة النبيّ يوسف عليه السلام قتله انطلاقاً من صفة الحسد، وقصّته معروفة؟

٥- **الغيبة**: وهي أيضاً مسبّبة لتفكّك العوائل، في حين أنّ الله تعالى ينهانا عنها لمصلحتنا.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣٦٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٤) سورة الفلق، الآية: ٥.

(٥) الوسائل، الحرّ العاملي، ج ١٥، ص ٣٦٨.

(٦) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٢، ص ١٨.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1].

٦ - **النميمة، والحقد، والغضب، وفحش الكلام**، وعدم وجود الاحترام المتبادل، فضلاً عن الغزو الثقافيّ الغربيّ لنا، بحيث نكاد نصير كالغرب في أخلاقه وقيمه وتوجّهاته.

هذه الأسباب لم نفصِّل فيها، حتّى لا يطول المقام، ويحسن مراجعة الكتب الأخلاقية، التي تتحدَّث عن هذه المواضيع بإسهاب، وتعطي العلاج لهذه الرذائل، فبعلاجها يعالج موضوع قطيعة الرحم، وكثير من العداوات والأحقاد في المجتمع ككلّ.

خاتمة

لقد تبيّن ممّا مر أنّه لا العصبية الجاهلية مقبولة ولا القطيعة للرحم مقبولة أيضاً، وإنّما المطلوب من الإنسان المؤمن أن يتقرّب من عشيرته وأهله وأقاربه وأرحامه، بشتّى أنواع التقرّب الذي يرضي به الله سبحانه وتعالى، لأنّه إن انقطع عنهم فقد خسروا هم رجلاً واحداً بينما هو قد خسر العشيرة كلّها، وأمّا إذا تواصل وتقرّب منهم بالحقّ فقد كسب رضا الله في الآخرة وعشيرته وأقاربه وأهله في الدنيا، حيث يجد عونهم ومؤازرتهم له في الشدائد والنوائب.

أعاننا الله على التواصل الحسن مع الناس ومع أقاربنا.

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

مطالعة

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأحد ولاته الخونة

من كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبديّ[١] وقد كان استعمله على بعض النواحي، فخان الأمانة في بعض ما ولّاه من أعماله:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلاَحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لاَ تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً، وَلاَ تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَاداً، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ.

وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً، لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى خِيَانَةٍ.

فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هذَا إِنْ شَاءَ اللهُ»[٢].

وفد الجارود على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في سنة تسع، وقيل: في سنة عشر، وذكر صاحب الاستيعاب: أنّه كان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه.

---

(١) اسم **الجارود بشر بن خنيس بن المعلى**، وإنّما سمي الجارود لبيت قاله بعض الشعراء فيه في آخره: كما جرد الجارود بكر بن وائل.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٨، ص ٥٤.

9

معرفة الزمان وأهله

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«حسب المرء... من عرفانه، علمه بزمانه».

بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٥، ص ٨٠.

أهمّيّة الزمن

يقسم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بالزمان، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[١]. ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾[٣].

وما تلك الأقسام بالزمان إلّا للإشارة إلى أهميَّة الزمان. والزمان مؤلّف من ماض وحاضر ومستقبل، ومن الضروريّ للإنسان أن يعرف الماضي أي التاريخ الذي مضى على الناس أفراداً وجماعات؛ ليعتبر ويتّعظ، فيأخذ بحسنات الماضي ويترك سيئاته وضلاله وهفواته. يقول الإمام عليّ عليه السلام في وصيّته للإمام الحسن عليه السلام: «**أي بُنيّ إنّي وإن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكّرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتّى عدت كأحدهم. بل كأنّي بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمّرت مع أوّلهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من**

(١) سورة العصر، الآيات: ١ ـ ٢ ـ ٣.

(٢) سورة الضحى، الآية: ١.

(٣) سورة المدثر، الآية: ٣٤.

ضـرره، فاستخلصـت لـك مـن كلّ أمر نخيلـه وتوخّيت لك جميلـه، وصرفت عنك مجهوله، ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر...»[١].

معرفة الحاضر والمستقبل

ومـن المهـمّ للإنسـان أيضاً أن يعـرف حاضـره أي عصره وزمانه الـذي يعيش فيـه، فلكلّ عصر أهله وخصائصه وضروراتـه ومتطلّباته وأولويّاته، وهي تنطلق من المتغيرات الاجتماعية والفكرية والثقافيـة والسياسية الطارئة على مفاصل الحياة. فالمؤمن الواعي هو الذي يفهـم أهل عصره وضروراته ومتطلّباته، ويدرك المشاكل والأولويّات.. أمّا أولئك الذين لا يدركون هذه المسائل، أو لا يتفاعلون معها بسبب عدم انتمائهم إلى عصرهم، فهم الهامشيون المنعزلون الذين يحسبون أنّهم يعيشون في صحراء منعزلة فلا يقدرون على التأثير ولا على المعالجة، بل يقفون دوماً متأسّفين ومتحسّرين وشاكين ومشتبهين ومستسلمين.

وهذا ما أشار إليه أمير كلّ زمان الإمام عليّ عليه السلام: «**حسب المرء... من عرفانه، علمه بزمانه**» وعنه عليه السلام: «**أعرف الناس بالزمان، من لم يتعجّب من أحداثه**»[٢]، وعنـه عليه السلام: «**مَـن أمـنَ الزمـان خانـه، ومن أعظمـه أهانـه**»[٣]. و فـي وصية أمير المؤمنيـن للحسـن صلـوات الله عليهما «**يا بُنـيّ إنّه لا بـدّ للعاقل مـن أن ينظر في شأنه، فليحفظ لسانه، وليعرف أهل زمانه**»[٤].

وعـن الإمـام الصـادق عليه السلام: «**العالـم بزمانـه، لا تهجم عليـه اللوابـس**»[٥]. واللوابس تعني الشبهات.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٣١.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ١٢٦.
(٣) م. ن، ص ٤٣١.
(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٦٨، ص ٢٨١.
(٥) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٢٧.

ومعرفة العصر الحاضر تفيد في قراءة المستقبل وفي صناعته، فإنّنا بصناعتنا للحاضر نصنع مستقبل أولادنا وأحفادنا.

من أسباب ضياع فلسطين أنّ أهل ذلك العصر لم يقرأوا حاضرهم بشكل صحيح، لذلك لم يصنعوا مستقبل أولادهم وأحفادهم بشكل صحيح.

فعلينا أن لا نضع الحقّ على الزمان في فشلنا وتراجعنا وانهزامنا فـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

عن الريّان بن الصلت: أنشدني الرضا عليه السلام لعبد المطّلب:

يعيب الناس كلّهم زمانا ... وما لزماننا عيب سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا ... ولو نطق الزمان بنا هجانا
وإنّ الذئب يترك لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضاً عيانا
لبسنا للخداع مسوك طيب ... وويل للغريب إذا أتانا[2]

علم الأنبياء والأئمّة بزمانهم

كان الأنبياء جميعهم يدركون متطلّبات عصورهم، فيقودون مجتمعاتهم على أساسه. وإن نسخ الأديان الماضية من قبل الأنبياء من أولي العزم أفضل دليل على إثبات دور الزمان في القيادة، حسب رؤية الأديان السماوية كلها.

إنّ معرفة العصر في الحقيقة أحد العناصر الأصلية للوعي السياسيّ والاجتماعيّ. وكلّما ازدادت معرفة القائد بشعبه وأدرك مطالبه وحاجاته المادية والمعنوية بنحو أدقّ وأحاط بنقاط قوّته وضعفه كان أنجح.

ولا جرم أنّ الأنبياء عليهم السلام جميعاً كانوا يتّسمون بهذه الصفة.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما كلّم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قطّ. قال**

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.
(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٤٩، ص ١١١.

رسول الله ﷺ: إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»[١].

وتـدلّ دراسـة سيرة النبيّ ﷺ – مـن منظار معرفته بزمانـه وإدراكه لمتطلّبات عصره – على أنّه نموذج بارز للقائد العارف بزمانه، يتلوه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والأئمّة من بعده.

وفـي عصرنا الحاضر الولـيّ الفقيه هو من يتولّى قيادة الأمّة فهو العارف بزمانه فلذلك لا تهجم عليه اللوابس، فينبغي لنا إطاعته ففي طاعته هدي من الضلال وأمان من الفتنة ومن كيد الأعداء.

.... يقـول الإمـام الخمينيّ رضـوان الله تعالى عليـه في دور معرفـة الزمان في هدايـة الناس وقيادتهم، وفي ضرورة الاطّلاع على متطلّبـات العصر بوصفه شرطاً للاجتهاد:

« الزمان والمكان عنصران حاسمان في الاجتهاد. والمسألة التي كان لها حكم في الماضي ربّما يكون لها حكم جديد في العلاقات التي تحكم الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية لنظام من الأنظمة. أي: إن المعرفة الدقيقة للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تجعل الموضوع الأوّل الذي لم يختلف عمّا كان عليه في الماضي من حيث الظاهر موضوعاً جديداً يتطلّب حكماً جديداً لا محالة. وينبغـي للمجتهـد أن يلـمّ بقضايا عصـره. ولا يستسيـغ الناس والشبـاب بل حتّى العـوامّ أن يقـول المرجع والمجتهد: لا رأي لي فـي القضايا السياسية، فالاطّلاع علـى كيفية التعامل مع الاقتصاد العالميّ، ومعرفة ضروب السياسة والسياسيين ومعادلاتهم المفروضة، وإدراك الموقع الذي يحتلّه النظام الرأسماليّ والشيوعيّ فـي العالـم، والتعـرّف علـى نقـاط قوّتهمـا وضعفهمـا إذ همـا اللـذان يحـدّدان استراتيجية التسلّط على العالم، كلّ ذلك من صفات المجتهد الجامع»[٢].

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٢٣.

(٢) صحيفة النور، ج٢١، ص ٩٨، نداء الإمام إلى علماء البلاد ومراجع المسلمين بتاريخ ١٥ رجب ١٤٠٩ هـ.

من أسباب نجاح غير المؤمنين

إنّ هناك أسباباً لتقدّم ونجاح وانتصار بعض الكفّار والفاسقين في الحياة الدنيا، وتأخّر بعض المؤمنين، ومن هذه الأسباب أنّ الطائفة الأولى رغم خلوّهم من عنصر الإيمـان يتحلّون - أحياناً - ببعض نقاط القوّة الّتي يحقّقون في ظلّها ما يحقّقون من المكاسب، ويحرزون ما يحرزون من النجاحات، فيما تعاني الطائفة الثانية من نقاط ضعـف توجب تأخّرهـم وانحطاطهم. فنحن نعرف أشخاصـاً - رغم انقطاعهم عن الله - يتّسمون بالجديّة الكبيرة في أعمالهم، ويتحلّون بالاستقامة والعزم، والتنسيق والتعـاون فيما بينهم، والمعرفة بقضايا العصر ومتطلّباته، ومقتضياته ومستجدّاته، ومـن الطبيعـيّ أن يحقّق هـؤلاء مكاسب كبيرة ويحـرزوا انتصـارات ونجاحات في حياتهـم الماديـة، وما هم في هذا الأمر - في الحقيقـة - إلّا مطبقين لتعاليم الدين وبرامجه من دون إسنادها إلى الدين وإعطائها صفته وصبغته.

وفـي المقابـل، هناك أشخاص متديّنون أوفيـاء للعقائد الدينيـة، لكنّهم بسبب غفلتهـم عـن تعاليم الديـن الحيوية يعانـون من الجبـن والإحجام، ويفتقـرون إلى الشهامة والاستقامة ويفقـدون عنصر الثبات والاستمرار والاتّحاد والتعاون، وقراءة العصـر والواقع، وطبيعـيّ أن يصاب هـذا الصنف من النـاس بإخفاقات متلاحقة وهزائـم متتابعة. ولكنّ هذه الهزائم والإخفاقات ليست أبداً بسبب إيمانهم بالله، بل هـي بسبب ما بهم من نقـاط الضعف، وما بأنفسهم من عوامـل الهزيمة، وموجبات السقوط والإخفاق.

إنّهـم يتصوّرون (وبالأحـرى يظنّون) بأنّهـم سيتنصرون بمجـرّد إيمانهم بالله وانتسابهـم إلى الدين فـي جميع المجالات، وينجحون في جميـع المواقف، في حين جاء الدين بسلسلة من البرامج والمناهج العملية الحيوية للتقدّم والنجاح في الحياة، يستلزم تجاهلهـا الفشل والسقوط والهزيمة. إنّ لكلّ شيء سبباً، ولكلّ نجاح مفتاحه الخاصـ، ووسيلتـه الخاصة، وقد أتى الدين بكلّ ذلك، وبيّنه فـي تعاليمه وتوصياته،

فـلا يمكن أن يتحقّق نجاح بغير هذه التعاليم وبغير هذه الوسائل، ومن هذه التعاليم المهمّة المعرفة بالزمان.

فالنجـاح فـي الحيـاة والانتصـار يقتضيـان الوعـي ولا يكفـي الإيمـان الساذج البسيط.

مطالعة

أنين الإمام عليّ عليه السلام في محراب العبادة

دخل ضرار بن ضمرة الكتّانيّ على معاوية فقال له: صف لي عليّاً.

فقال: أوتعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أعفيك!

قال له: وإذ لابدّ منه فإنّه والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته! كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلّب كفّه ويخاطب نفسه، ويعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشب! كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقرّبه إلينا وقربه منّا لا نكلّمه هيبة له، فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، كان يعظّم أهل الدين، ويحبّ المساكين، لا يطمع القويّ في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ـ وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ـ يتمثّل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين، فكأنّي أسمعه الآن وهو يقول:

يا ربّنا يا ربّنا ـ يتضرّع إليه ـ ويقول للدنيا: أبي تعرّضت؟ أَإِليَّ تشوّقت؟ هيهات هيهات غرّي غيري قد طلّقتك ثلاثاً فعمرك قصير، وعيشك حقير وخطرك يسير، آه آه من قلّة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشّفها بكمّه، وقد اختنق القوم بالبكاء[1].

(١) نهج السعادة، ج٣، ص ١٩٩.

10

ذكر الموت

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«وَ أُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَ إِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ وَ كَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ وَ طَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ وَ أُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ».

نهج البلاغة، الخطبة ٨٨.

كيف نذكر ما نخاف؟

يوصي الإمام عليّ عليه السلام في هذه الخطبة من نهج البلاغة بذكر الموت والحال أنّ أكثر الناس يخاف الموت، فكيف نوصيهم بذكره؟ فإنّ الإنسان يبتعد عن ذكر ما يخيفه، وينساه أو يتناساه لكي لا يتألّم ولا يقلق ولا يزعج باله ويشغل خاطره.

أسباب الخوف من الموت

في الحقيقة إنّ للخوف من الموت أسباباً:

١- الخوف من الفناء والعدم

إنّ كراهة معظم الناس للموت وخوفهم منه لأجل أنّ الإنسان حسب فطرته التي فطرها الله سبحانه، وجبلّته الأصيلة، يحبّ البقاء والحياة، ويتنفّر من الفناء والممات، وحيث إنّ في فطرة الإنسان هذا الحبّ وذاك التنفّر، فإنّه يحبّ ويعشق ما يرى فيه البقاء، ويحبّ ويعشق العالم الذي يرى فيه الحياة الخالدة، ويهرب من العالم الذي يقابله. وحيث إنّ كثيراً من الناس لا يؤمن إيماناً يقينياً بعالم الآخرة، ولا تطمئنّ قلوبهم نحو الحياة الأزلية، والبقاء السرمديّ لذلك العالم، فإنّهم يحبّون هذه الدنيا، ويهربون من الموت حسب تلك الفطرة والجبلّة.

إنّ أكثر الناس تنشدّ قلوبهم إلى تعمير الدنيا، وتغفل عن تعمير الآخرة، ولهذا لا يرغبون في الانتقال من مكان فيه العمران والازدهار إلى مكان فيه الدمار والخراب. وهذا ناتج من نقص في الإيمان والاطمئنان. وأمّا إذا كان الإيمان كاملاً، فلا يسمح الإنسان لنفسه أن يشتغل بأموره الدنيوية المنحطّة ويغفل عن بناء الآخرة.

٢ـ الجهل بالموت

عن الإمام الجواد عليه السلام - لمّا سئل عن علّة كراهة الموت -: «**لأنّهم جهلوه فكرهوه، ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عزّ وجلّ لأحبّوه، ولعلموا أنّ الآخرة خير لهم من الدنيا، ثم قال عليه السلام: يا أبا عبد الله[1] ما بال الصبيّ والمجنون يمتنع من الدواء المنقّي لبدنه والنافي للألم عنه؟** قال: لجهلهم بنفع الدواء، **قال عليه السلام: والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً إنّ من استعدّ للموت حقّ الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما إنّهم لو عرفوا ما يؤدّي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبّوه أشدّ ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفّات واجتلاب السلامة**»[2].

وعن الإمام العسكري عليه السلام: «**دخل عليّ بن محمّد عليهما السلام على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت، فقال له: يا عبد الله تخاف من الموت لأنّك لا تعرفه، أرأيتك إذا اتّسخت وتقذّرت وتأذّيت من كثرة القذر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أنّ الغسل في حمّام يزيل ذلك كلّه أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك أو تكره أن تدخله فيبقى ذلك عليك؟ قال: بلى يا ابن رسول الله، قال: فذاك الموت هو ذلك الحمّام، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيئاتك، فإذا أنت وردت عليه وجاوزته فقد نجوت من كل غمّ وهمّ وأذى، ووصلت إلى كلّ**

(١) وفي نسخة كتاب الاعتقادات للشيخ الصدوق: «**يا عبد الله**».

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٦، ص ١٥٦.

سرور وفرح، فسكن الرجل واستسلم ونشط وغمض عين نفسه ومضى لسبيله»[١].

٣ـ الخوف من العقاب

ومثل هذا الخوف يلاحق المذنبين المؤمنين بالآخرة، فيخافون أن يحين حينهم وهم مثقلون بالآثام والأوزار، فينالوا جزاءهم، ولذلك يودّون أن تتأخّر ساعة انتقالهم إلى العالم الآخر.

ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: «**لا تكن ممّن ... يكره الموت لكثرة ذنوبه، و يقيم على ما يكره الموت له... يخشى الموت، و لا يبادر الفوت**»[٢].

وعن الإمام أبي عبدِالله عليه السلام قال: «**جاء رَجُلٌ إلى أبي ذَرٍّ فَقالَ: يا أبا ذَرٍّ ما لَنا نَكرَهُ المَوْتَ؟ فَقالَ: لأَنَّكُمْ عَمَّرْتُمُ الدُّنيا وأَخْرَبْتُم الآخِرَةَ، فَتَكْرهُونَ أَنْ تُنْقَلُوا مِن عِمْرانٍ إلى خَرابٍ، فَقَالَ لَهُ: فَكَيْفَ تَرى قُدُومَنا عَلَى اللهِ؟ فَقالَ: أَمَّا المُحْسِنُ مِنْكُمْ فَكَالغَائِبِ يَقْدُمُ عَلَى أَهْلِهِ، وَأَمَّا المُسِيءُ مِنْكُمْ فَكَالآبِقِ يُرَدُّ عَلَى مَوْلاَهُ....**»[٣].

هـذه الأسباب للخوف من الموت ـ خوف العـدم والجهل بالموت وخوف العقاب ـ عالجها الإسلام حيث أحيا في القلوب الإيمان باليوم الآخر، وبذلك أبعد شبح الفناء والانعدام من الأذهان، وبيّن أنّ الموت انتقال إلى حياة أبدية خالدة منعّمة.

ومن جهة أخرى دعا الإسلام إلى العمل الصالح والابتعاد عن عصيان الله تعالى، كي يبتعد الإنسان عن الخوف من العقاب.

التهيّوء لساعة الموت

وكوننا نحن مؤمنين بالحياة بعد الموت وأنّه ليس فناءاً وأنّه قنطرة نعبرها إمّا الى جنّـة وإمّا إلى نـار ـ كما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الموت الموت ! ألا ولا بدّ من الموت،**

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٦، ص ١٥٦.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٥٠.
(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٤٥٨.

جاء الموت بما فيه، جاء بالروح والراحة والكرّة المباركة إلى جنّة عالية لأهل دار الخلود، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم، وجاء الموت بما فيه بالشقوة والندامة وبالكرّة الخاسرة إلى نار حامية لأهل دار الغرور، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم»[١]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**وما بين أحدكم و بين الجنة أو النار إلّا الموت أن ينزل به، و إنّ غاية تنقصها اللحظة، و تهدمها السّاعة، لجديرة بقصر المدّة، و إنّ غائباً يحدوه الجديدان: اللّيل و النّهار، لحريّ بسرعة الأوبة، و إنّ قادماً يقدم بالفوز أو الشّقوة لمستحقّ لأفضل العدّة، فتزوّدوا في الدّنيا من الدّنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً**»[٢]- إذا كان الموت هكذا بهذه الخطورة والمصيرية ينبغي لنا أن نتهيّأ لتلك الساعة التي لا مفرّ منها لأيّ أحد.

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**وبادروا الموت وغمراته، وامهدوا له قبل حلوله، وأعدّوا له قبل نزوله**»[٣].

فالإنسان الحكيم لا يغمض عينيه عن الأمور الخطيرة والمصيرية ولا يفعل كالنعامة التي تضع رأسها في التراب متوهّمة أنّ الذئب الآتي إليها لن يفترسها!

الإنسان الحكيم يتهيّأ للأمور الخطيرة والمصيرية ولا ينساها ولا يتناساها لأنها لا تنساه.

فالموت لا ينسانا وإن نسيناه أو تناسيناه «**وكيف غفلتكم عمّا ليس يغفلكم، وطمعكم فيمن ليس يمهلكم؟**».

التفكّر بالموت

إنّ الله تعالى كما أنّه خلق الحياة كذلك خلق الموت: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ

(١) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج١٤، ص ٦٠.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٦٤.
(٣) م. ن، الخطبة ١٩٠.

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[١].

فالإنسان المؤمن عليه أن يفكّر في الحياة الدنيا وفي الموت الذي هو قنطرة للحياة الأبدية الباقية: ﴿..... كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .... ﴾[٢].

ولكنّ المؤسف أنّ الإنسان يفكّر في دنياه الزائلة ولا يفكّر في الموت الذي هو باب إلى الآخرة الى الحياة السرمدية، بل إنّ التفكير بالموت له تأثير على حياته الدنيوية فضلاً عن آخرته.

فإنّ وجهة نظر الإنسان نحو الموت وما بعده مهمّة جداً في حياته، فكلّما كانت نظرته واقعية وموضوعية وصحيحة، كلّما كانت حياته سعيدة ونشطة ومتحرّكة ومتفائلة، والعكس صحيح أيضاً.

فتركيبة الإنسان النفسية ومن ثمّ سلوكه وأخلاقه تتأثّر جداً من خلال نظرته إلى الموت وما بعده.

فليس التفكير في الموت وما بعده أو بالأحرى ليس الاعتقاد بوجهة نظر معيّنة تجاه الموت وما بعده فكرة عابرة تمرّ بالخيال وترحل، ولو حاول الإنسان أن يخرجها من خياله وشعوره، فإنّها ستنزل رغماً عنه إلى لا شعوره وعقله الباطنيّ وكيانه النفسيّ وتطبعه بطابع معيّن إمّا سلباً أو إيجاباً.

فعلى هذا ليس التفكير في الموت وما بعده موتاً بل حياة، أي له دخالة في حياة الإنسان وبنائه الروحيّ والنفسيّ والعقليّ.

وأنتم إذا دقّقتم جيداً ستعرفون؛ أنّ الإنسان إذا كانت نظرته إلى الموت على أنّه فناء ستكون تركيبته النفسية معقّدة خائفة متشائمة مضطربة مستهترة متحلّلة،

(١) سورة الملك، الآية: ٢.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

أمّـا إذا كانت نظرته على النقيض من ذلـك واعتقد بأنّ الموت ليس انحلالاً تامّاً ولا فنـاءً محضاً، إنّما حياة ثانية لها نكهتها الخاصّـة، فستكون حياته النفسية وتركيبته الروحية متفائلة مطمئنة ملتزمة.

اكتشاف ما بعد الموت يحيي أمماً وأفراداً

يقـول بعض الفلاسفة: «**إنّ اكتشاف المـوت هو الذي ينتقل بالشعـوب والأفراد إلى مرحلة النضج العقليّ أو البلوغ الروحيّ**»(١).

صحيـح قـول هذا المفكّر وتؤيّـده الوقائـع التاريخية، وللتدليل علـى هذه الفكرة نعطيكم مثالاً واحداً.

كان أكثر الأمّة العربية قبل الإسلام منكراً للحياة بعد الموت، يقول تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾(٢).

﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۚ﴾(٣).

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾(٤).

فكيـف كانت حياتهم؟ كانت حيـاة جهلٍ وتخلّف وتبعيّة، ولكن عندما جاء الإسلام، وغيّر نظرتهم إلى الموت وما بعده، تغيَّر العرب تغيّراً جذرياً، فانطلقوا في الدّنيا بكل انشراح وقوّة وغيّروا مجرى التاريخ بعد أن كانوا هملاً.

فيتبيّن ممّا مرّ أنّ ذكر الموت والتفكّر فيه وعدم نسيانه ضروريّ للفرد والمجتمع، فهو صمّام أمان للفرد، ودفع للمجتمع للتغيير، فشتّان بين من يحسب الموت فناء ومن يقطـع بأن الموت حياة أخرى، فـالأوّل جبان كما عليه اليهود ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ

(١) انظر: تغلب على الخوف، مصطفى غالب، ص٧٤..

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٣) سورة السجدة، الآية: ١٠.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٤٧.

مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾[١]، ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾[٢]، والثاني شجاع كما عليه أبناء الإسلام.

ولهـذا الاعتقاد درجات يترقّى فيها الإنسان حتّـى يصبح الموت بالنسبة له أمراً عاديـاً علـى حدّ تعبير الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: «**لا أبالي وقعنا على الموت أو وقع الموت علينا**».

(١) سورة البقرة، الآية:٩٦.

(٢) سورة الحشر، الآية:١٤.

مطالعة

الموت بعزّ أفضل من العيش بذلّ

كان نزول الإمام عليّ عليه السلام بصفين لليالٍ بقين من ذي الحجّة سنة ستّ وثلاثين. وكان أبو الأعور السلميّ على مقدّمة معاوية، وكان قد ناوش مقدّمة الإمام عليّ عليه السلام وعليها الأشتر النخعيّ مناوشة ليست بالعظيمة، ثمّ انصرف أبو الأعور عن الحرب راجعاً، فسبق إلى الماء فغلب عليه في الموضع المعروف بقنّاسرين إلى جانب صفّين، وساق الأشتر يتبعه، فوجده غالباً على الماء، وكان في أربعة آلاف من أهل العراق، فدعا الأشتر بالحارث بن همام النخعيّ فأعطاه لواءه ثمّ صاح الأشتر في أصحابه فدتكم نفسي شدّوا شدّة المحرج الراجي للفرج فإذا نالتكم الرماح التووا فيها فإذا عضّتكم السيوف فليعضّ الرجل على ناجذه فإنّه أشدّ لشؤون الرأس ثمّ استقبلوا القوم بهامكم.

وعن صعصعة قال: أقبل الأشتر يوم الماء فضرب بسيفه جمهور أهل الشام حتّى كشفهم عن الماء وحمل أبو الأعور وحمل الأشتر عليه فلم ينتصف أحدهما صاحبه.

وقال عمرو بن العاص لمعاوية، لمّا ملك أهل العراق الماء: ما ظنّك يا معاوية بالقوم إن منعوك الماء كما منعتهم أمس أتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه؟ ما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة؟

فقال له معاوية: دع عنك ما مضى فما ظنّك بعليّ بن أبي طالب؟

قال: ظنّي أنّه لا يستحلّ منك ما استحللت منه وأنّ الّذي جاء له غير الماء.

وقال أصحاب الإمام عليّ عليه السلام له: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك.

فقال: لا، خلّوا بينهم وبينه لا أفعل ما فعله الجاهلون فسنعرض عليهم كتاب الله وندعوهم إلى الهدى فإن أجابوا وإلاّ ففي حدّ السيف ما يغني إن شاء الله.

قال: فو الله ما أمسى الناس حتّى رأوا سقاتهم وسقاة أهل الشام ورواياهم وروايا أهل الشام يزدحمون على الماء ما يؤذي إنسان إنساناً[١].

وكان ممّا قاله الإمام عليه السلام لمّا غلب أصحاب معاوية أصحابه على شريعة الفرات:

«قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ، فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ، أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ، فَالمَوْتُ في حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ في مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ.

أَلاَ وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ الْغُوَاةِ وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ»[٢].

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٣٢، ص ٤٤٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٣، ص ٣١٢.

11

معرفة القرآن الكريم

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا. إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ وَ لَا عَلَمٍ قَائِمٍ. كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ....».

نهج البلاغة، الخطبة ١.

فضل القرآن وعظمته

لقد أرسل الله تعالى الأنبياء لهداية البشرية إلى سواء السبيل، وأنزل على بعضهم كتباً لتكون منارات يستهدي بها الناس، ولكن للأسف حرّف الناس كتب الله تعالى كما في التوراة والإنجيل، وبذلك انحرفوا عن الصراط المستقيم ووقعوا في ضلال مبين.

إلى أن أرسل الله تعالى نبيّه الكريم محمّداً ﷺ ليرجع الناس إلى طريق الله، ويزيلهم عن الانحراف، وينير لهم الطريق، فأنزل على قلبه الكتاب الكريم القرآن المجيد وحفظه تعالى من التحريف: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

فكان الهادي والمبين والموعظة والمنير لطريق السالكين إلى الله تعالى،فهو الكتاب السماويّ الوحيد الذي لم تمسّه يد التحريف. يقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[2].

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩.

صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[١].

﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[٢].

وحسب القرآن عظمة وكفاه منزلة وفخراً وفضلاً أنّه كلام الله العظيم، ومعجزة نبيّه الكريم، وأنّ آياته هي المتكفّلة بهداية البشر في جميع شؤونهم وأطوارهم وفي جميع أجيالهم وأدوارهم، وهي الضمينة لهم بنيل الغاية القصوى والسعادة الكبرى في العاجل والآجل.

هو كلام الله و«**فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**»[٣].

هو وصيّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الأولى والثقل الأكبر الذي خلّفه قائلاً: «**إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض**»[٤].

يصف الإمام عليّ عليه السلام كتاب الله ويبيّن منزلته حين يقول: «**ثمّ أنزل عليه الكتابَ نوراً لا تُطفأ مصابيحُه، وسراجاً لا يخبو توقُّدُه، وبحراً لا يدركُ قعرُه، ومنهاجاً لا يُضِلّ نهجُه، وشعاعاً لا يُظلِم ضوؤه، وفرقاناً لا يخمدُ بُرهانُه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاءً لا تُخشى أسقامُه، وعزاً لا تُهزَم أنصارُه، وحقّاً لا تُخذَلُ أعوانُه.**

فهو معدِن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافيّ الإسلام وبنيانه، وأودية الحقّ وغيطانه، وبحرٌ لا ينَزْفَه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضلّ نهجَها المسافرون، وأعلامٌ لا يعمى عنها السائرون، وآكامٌ لا يجوز عنها القاصدون.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٦، ص ٨٩.

(٤) الحديث متواتر رواه خمسة وثلاثون صحابياً (راجع مصادره في خلاصة عبقات الأنوار الجزء الأول والثاني).

جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجّ لطرق الصلحاء، ودواءً ليس بعده داء ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولّاه، وسلماً لمن دخله، وهدىً لمن ائتمّ به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلّم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجّ به، وحاملاً لمن حمله، ومطيّة لمن أعمله، وآيةً لمن توسّم، وجُنّة لمن استلأم، وعِلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى وحكماً لمن قضى»[١].

اعتراف المفكّرين بعظمة القرآن

وقد اعترف بعظمة القرآن وفضله المنصفون من الملل الأخرى، يقول ول ديورانت: «**وقد ظلّ (القرآن) أربعة عشر قرناً من الزمان محفوظاً في ذاكرتهم (المسلمين)، يستثير خيالهم، ويشكّل أخلاقهم، ويشحذ قرائح مئات الملايين من الرجال. والقرآن يبعث في النفوس... أسهل العقائد، وأبعدها عن التقيّد بالمراسم والطقوس، وأكثرها تحرّراً من الوثنية والكهنوتية. وقد كان له أكبر الفضل في رفع مستوى المسلمين الأخلاقيّ والثقافيّ، وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعيّ والوحدة الاجتماعية، وحضّهم على اتّباع القواعد الصحية، وحرّر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام، ومن الظلم والقسوة، وحسن أحوال الأرقّاء، وبعث في نفوس الأذلّاء الكرامة والعزة، وأوجد بين المسلمين (إذا استثنينا ما كان يقترفه بعض الخلفاء المتأخرين) درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أيّة بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض...**»[٢].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨، **بحبوحته**: وسطه، **وأثافيّ**: جمع أُثفيّة، وهي ما يوضع عليه القِدْر، فالمراد أنه قواعد الإسلام وبنيانه. **غيطانه**: المستقر من الأرض. **الماتحون**: الذين ينزحون الماء من البئر أو العين. **لا يغيضها**: لا ينضبها، **غيض الماء**: جفّ ونضب. **معقلاً**: ملجأ، **ذروته**: أعاليه. **فلَجاً**: الفلَج هو الظَفَر والغلبة، **استلأم**: لبس اللأمة أي الدرع، **والجُنّة**: الوقاية، فهو وقاء لمن أراد أن يدّرع ليقي نفسه الأخطار.

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت، مج ١-٢، ج١، ص٤٨، دار الجيل.

هـذه شهادة – من شهادات كثيـرة – للقرآن الكريم من أحد الغربيين، وهو مؤرّخ كبير معروف، أليس في شهادته دلالة على فضل القرآن وعظمته؟

أليـس في شهادته وشهادة أمثاله، دلالة على مدى تأثير القرآن وفاعليته وهدايته للبشرية؟

العمل بالقرآن

ولأجـل مـا يحمـل القرآن الكريـم من فضـل وعظمة وأهميّـة كان وصيّـة أمير المؤمنين عليه السلام: «**فالله الله أيّها النّاس، فيما استحفظكم من كتابه، و استودعكم من حقوقه.. وأنزل عليكم الكتاب تبياناً لكلّ شيء، وعمّر فيكم نبيّه أزماناً، حتّى أكمـل لـه ولكـم فيما أنزل من كتابـه دينه الّذي رضـي لنفسه، وأنهـى إليكم على لسانـه محابّه مـن الأعمال ومكارهـه، ونواهيه وأوامـره، وألقى إليكم المعذرة، واتّخذ عليكم الحجّة، وقدّم إليكم بالوعيد، وأنذركم بين يدي عذاب شديد**»[١].

والوصية بالقرآن تعني العمل به وإلّا ما فائدة أن نقرأ القرآن لقلقة لسان، كما أنّه لا فائدة لوصفة الطبيب دون أن نعمل بها.

ومـن هنا يوصـي الإمام علـيّ عليه السلام بالعمل بالقـرآن: «**والله الله في القـرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم**»[٢].

فهل نستفيد من القرآن الكريم إن زيّنّاه وألبسناه ذهباً وعلّقناه في المنزل؟!

هل نعطي للقرآن حقّه إن نسيناه في زوايا البيوت وعلاه الغبار؟!

هـل إن تعلّمنا رسوم التجويـد وحسّنّا أصواتنا في ترتيله، هل بهـذا نؤدّي حقّه؟! نعـم إنّ ذلك مطلـوب وجيّد ولكن ليس هو الهـدف والمبتغى وما لأجلـه نزل القرآن الكريم.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٨٦.

(٢) م. ن، الخطبة ٤٧.

هـل نستفيد من القرآن المجيد إن تلوناه على الأموات وكان مقروءاً في مناسبات الموت أمّا في مناسبات الحياة فنحن ناسونه ومعرضون عنه؟!

هـل إنّ طبعنا عـدداً كبيراً من القـرآن المجيد ووزّعناه في مناسبـات الموت ثمّ ألقينا به على الرفوف ليعلوه الغبار، هل نكون قد أدّينا واجبنا؟!

القـرآن الكريم جـاء للحياة لنحيـا به، جاء ليسلـك طريقه في الحيـاة الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكل مجالات الحياة.

الإمام عليّ عليه السلام يحذّرنا

لقد حذّرنا الإمام عليّ عليه السلام من الإعراض عن العمل بالقرآن وأن لا يبلغ ألسنتنا وبذلك ندخل النار: «**ومن قرأ القرآن فمات، فدخل النّار، فهو ممّن كان يتّخذ آيات الله هزواً**»[١].

ولقد نبّه الإمام عليه السلام إلى أنّه سيبتعد الناس عن القرآن فقال: «**يأتي على النّاس زمان، لا يبقى فيهم من القرآن إلاّ رسمه، ومن الإسلام إلاّ اسمه**»[٢].

اللهمّ إنّا نعوذ بك من أن ندخل النار ونحن نقرأ القرآن.

اللهمّ أعنّا على تلاوة القرآن والعمل به.

اللهمّ أعنّا على تعليم أولادنا القرآن الكريم فـ «**حقّ الولد على الوالد: أن يحسّن اسمه، و يحسّن أدبه، و يعلّمه القرآن**»[٣].

اللهـمّ أعنّـا علـى أن نتّصف بصفـات المتّقين فقد قال عليه السلام يصـف المتّقين: «**أمّـا اللّيـل فصافّـون أقدامهم، تالـين لأجزاء القـرآن يرتّلونها ترتيـلاً. يحزّنون بـه أنفسهـم، ويستثيـرون بـه دواء دائهم. فـإذا مرّوا بآيـة فيها تشويق ركنـوا إليها**

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٨.
(٢) م. ن، الحكمة ٣٦٩.
(٣) م. ن، الحكمة ٣٩٩.

طمعاً، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نصب أعينهم. وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنّوا أنّ زفير جهنّم وشهيقها في أصول آذانهم»[١].

اللهمّ أعنّا على أن نتّصف بصفات الزاهدين فقد قال عليه السلام في صفة الزاهدين: «**أولئك قوم اتّخذوا الأرض بساطاً، و ترابها فراشاً، و ماءها طيباً، و القرآن شعاراً**[٢]، **والدّعاء دثاراً**»[٣].

مطالعة

أمَّن هو قانت

خرج أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة من مسجد الكوفة متوجّهاً إلى داره وقد مضى ربع من الليل ومعه كميل بن زياد وكان من خيار شيعته ومحبّيه، فوصل في الطريق إلى باب رجل يتلو القرآن في ذلك الوقت ويقرأ قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٤] بصوت شجيّ حزين فاستحسن كميل ذلك في باطنه وأعجبه حال الرجل من غير أن يقول شيئاً، فالتفت صلوات الله عليه وآله إليه وقال: يا كميل لا تعجبك طنطة الرجل إنّه من أهل النار وسأنبئك فيما بعد!

فتحيّر كميل لمكاشفته إيّاه على ما في باطنه ولشهادته بدخول النار مع كونه في هذا الأمر وتلك الحالة الحسنة ومضت مدّة متطاولة إلى أن آل حال الخوارج إلى

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩١.
(٢) الشعار: ما يلي البدن من الثياب، أي يقرؤون القرآن سرّا للتفكر والاتّعاظ.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٠٤.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.

مـا آل وقاتلهـم أمير المؤمنين عليه السلام وكانوا يحفظون القرآن كمـا أنزل فالتفت أمير المؤمنيـن عليه السلام إلى كميـل بن زياد وهو واقف بين يديه والسيـف في يده يقطر دماً ورؤوسـ أُولئك الكفرة الفجرة محلّقة علـى الأرض فوضع رأس السيف على رأس من تلك الرؤوس وقال:

يا كميل ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾ أي هو ذلك الشخص الّذي كان يقرأ القرآن في تلك الليلة فأعجبك حاله، فقبّل كميل قدميه واستغفر اللّه وصلّى على مجهول القدر[١].

وجـاء في نهج البلاغة أيضـاً أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سمـع رجلاً من الحرورية (الخوارج) يتهجّد ويقرأ فقال عليه السلام: «**نَوْمٌ عَلَى يَقِين خَيْرٌ مِنْ صَلاَة فِي شَكّ**»[٢].

وقد تكون مقولته هذه مرتبطة بهذا الشخص.

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٣٣، ص ٣٩٩.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٩٧.

12

محبّة أهل البيت عليهم السلام

مـن خطبة له عليه السلام لمّا أظفره اللّه بأصحاب الجمل وقد قال له بعض أصحابـه: وددت أنّ أخـي فلاناً كان شاهدنا ليـرى ما نصرك اللّه به على أعدائك.

فقـال له عليه السلام: «**أهوى أخيـك معنا؟ فقال نعم، قـال: فقد شهدنا. ولقـد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام فـي أصلاب الرجال وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الإيمان**».

نهج البلاغة، الخطبة ١٢.

تمهيد

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾[1].

أجمع أهل البيت وأولياؤهم على أنّ المقصود في (القربى) هنا إنّما هم: عليّ وفاطمة وأبناؤهما، والمعنى: قل لا أسألكم على أداء الرسالة أجراً إلا أن تودّوا قرابتي وتحفظوني فيهم. وهذا في الحقيقة ليس أجراً له صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّ قرابته حجج الله البالغة على الخلق، ونعمه السابغة لديهم، فمودّتهم لازمة للخلق، ونفعها عائد عليهم، كما قال في سورة سبأ - وهو أصدق القائلين-: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ﴾[2]، يعني لا أسألكم على تبليغ الرسالة شيئاً من عرَض الدنيا ليتّهمني المنافقون، وما طلبت منكم أجراً من مودّة قرابتي فإنّما هو لكم.

وقد روى الزمخشريّ وهو من أعلام المفسّرين السنّة، قال: «**أتت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمال جمعوه وقالوا: يا رسول الله قد هدانا الله بك وأنت ابن أختنا**

(١) سورة الشورى، الآية:٢٣.

(٢) سورة سبأ، الآية:٤٧.

وتعروك نوائب وحقوق ومالك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك، فنزلت، وردّه (النبيّ ﷺ وتلاها عليهم) إلى أن قال (أي الزمخشري): «**والظاهر العموم في أيّ حسنة كانت إلا أنّها لما ذكرت عقيب ذكر المودّة في القربى دلّ ذلك على أنّها تناولت المودّة تناولاً أوّليّاً كأنّ سائر الحسنات لها توابع**»[١].

وروى ابن حجر الهيثميّ وغيره: عن ابن عبّاس قال: لما نزلت ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: «**عليّ وفاطمة وابناهما**»[٢].

وفي الحديث المتواتر عن رسول الله ﷺ بلغة للباحث وهداية للطالب وقد ذكره أعلام المسلمين في كتبهم، إذ يقول ﷺ: «**من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له.... ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله...**»[٣].

وبعد هذا كلّه يتبيّن لنا أنّ محبّة أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم الخالصة هي سبيل النجاة، وسبب الفلاح، ومنطلق الوصول إلى ساحة رضا الله تعالى، وبدونها لا يقبل العمل إذ إنّ سائر الحسنات لها توابع.

ولنعم ما قيل:

إذا أنا لم أهوَ النبيّ وآله ... فمن غيرهم لي في القيامة يشفع
فلا دين إلا حبّ آل محمّد ... ولا شيء في يوم القيامة أنفع

لماذا أمرنا الله سبحانه وتعالى بمحبّتهم عليهم السلام؟

إنّ الجواب عن هذا السؤال يظهر ممّا روي عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام

(١) راجع الكشاف، الزمخشري، ج٣، شرح ص٤٦٨.
(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٧، ص١٠٣.
(٣) تفسير الرازي، ج٢٧، ص١٦٦.

حيث روى محمّد بن يعقوب عن عليّ بن محمّد عن إسحاق بن إسماعيل النيسابوري أنّ العالـم كتب إليه يعني الحسن بن عليّ العسكـريّ عليه السلام: «**إنّ الله تعالى بمنّه ورحمته لمّـا فرض عليكـم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منـه إليها بل رحمة منه إليكـم -لا إلـه إلا هو- ليميز الخبيث من الطيّب وليبتلي ما في صدوركم وليمحّص مـا فـي قلوبكم ولتتسابقـوا إلى رحمته، ولتتفاضل منازلكم فـي جنّته ففوّض عليكم الحجّ والعمرة وإيقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والولاية وجعل لكم باباً لتفتحوا به أبواب الفرايض، ومفتاحاً إلى سبيله، ولولا محمّد صلى الله عليه وآله والأوصياء من ولده كنتم حيارى كالبهائم لا تعرفون فرضاً من الفرايض، وهل تدخل قرية إلا من بابها؟!**

فلمّـا مـنّ الله عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيّكم صلى الله عليه وآله قال الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ وفرض عليكم لأوليائـه حقوقاً فأمركـم بأدائها إليهم ليحـلّ لكم ما وراء ظهوركـم من أزواجكم وأموالكـم ومأكلكـم ومشربكم ويعرّفكم بذلك البركـة والنماء والثروة وليعلم من يطيعـه منكـم بالغيـب، وقـال الله تبـارك وتعالـى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فاعلمـوا أنّ مـن يبخـل فإنّمـا يبخل على نفسـه إنّ الله هـو الغنيّ وأنتم الفقـراء إليـه لا إله إلّا هو، فاعملوا من بعد ما شئتـم فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنـون ثـمّ تـردّون إلـى عالم الغيـب والشهـادة فينبّئكـم بما كنتـم تعملون[1] **والعاقبة للمتّقين والحمد لله ربّ العالمين**»[2].

فمحبّة أهل البيت عليهم السلام واتّباعهم هي امتحان للمؤمنين برسالة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بهـا يميّـز الله سبحانـه الخبيث من الطيب ويرفـع الدرجات ويجعل البركـة في الدنيا والآخرة.

---

(١) إشـارة إلـى قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة التوبة، الآية: ١٠٥).

(٢) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج١، ص٢٥٠.

ولنعم ما قال الفرزدق:

هم معشر حبّهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم
يستدفع السوء والبلوى بحبّهم ويستربّ به الإحسان والنعم
مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم في كلّ برّ ومختوم به الكلِم

كيف تكون المحبّة؟

إنّ المحبّ صنفان فصنف أحبّ بقلبه ولم يظهر ذلك الحبّ بعمله وصنف أحبّ بقلبه وأيّد ذلك بعمله، فأيّ الصنفين يُقصد من محبّة أهل البيت عليهم السلام؟

نجد الجواب عن هذا السؤال أيضاً في كلام إمامنا الباقر عليه السلام حيث قال لجابر بن عبد الله الأنصاريّ: « **يا جابر أيكتفي من ينتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت؟ فوالله ما شيعتنا إلّا من اتّقى الله وأطاعه؛ وما كانوا يُعرفون يا جابر إلّا بالتواضع والتخشّع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبرّ بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء.**

قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة، فقال عليه السلام: يا جابر لا تذهبنّ بك المذاهب حسب الرجل أن يقول: أحبّ عليّاً وأتولّاه ثمّ لا يكون مع ذلك فعّالاً؟ فلو قال: إنّي أحبّ رسول الله فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير من عليّ عليه السلام ثمّ لا يتّبع سيرته ولا يعمل بسنّته ما نفعه حبّه إياه شيئاً، فاتّقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحبّ العباد إلى الله عزّ وجلّ [وأكرمهم عليه] أتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يتقرّب إلى الله تبارك وتعالى إلّا بالطاعة وما معنا براءة من النار ولا على الله لأحد من حجّة، من كان لله مطيعاً

فهو لنا وليّ ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، وما تنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع»[١].

إنّ كثيراً من الروايات جاءت دالة على نفس هذا المعنى وفيه تحذير واضح لكلّ من ادّعى محبّة وودّ وولاية أهل البيت ولم يعمل بعملهم، فالأمر الإلهيّ بمودّتهم عليهم السلام لا عن عبث بل المراد منه أنّهم وصلوا إلى هذه الدرجة بطاعتهم للّه فكلّ عمل يقدمون عليه لا يمكن أن تشوبه شائبة المعصية، وإلّا فكيف يأمر اللّه تعالى بمودّة العصاة ومحبّتهم، إنّه سبحانه يأمر بمودّة المطيعين، لأنّ محبّتهم من محبّة عملهم، فإن كنت من أهل هذا الحبّ فعليك بالعمل الموافق له، وإلّا تكون كما قال الفرزدق للإمام الحسين عليه السلام في وصفه لأهل الكوفة: «**قلوبهم معك وسيوفهم عليك**».

الاقتداءُ بالإمام عليّ عليه السلام في جميع الأبعاد

وفي هذا يقول الإمام الخميني قدس سره: «**نُقِل عن أمير المؤمنين عليه السلام شغله بعامَّة المسلمين وفكره بالجائعين، فكان يُعاني شظفَ العَيْش وشدّة الجوع خشية أن يكون أحد في الثغور الإسلاميّة من هو أكثر جوعاً منه.**

ذلك أميرُنا، هو سيِّدنا، إمامُنا، وما أكثر ما نقول عنه: إمامُنا، ولا نقتدي به!

فليس لنا اقتداء في الأعمال، أهذا هو معنى (الإمام)؟! في حين أنّ معنى الإمام والشيعة هو أن يتقدّمَهم، ويقتفوا أثره (فلو كان هناك جنازة فيها نعش ومن يريد تشييع صاحب النعش يمشي في طريق غير طريقه أكان يسمّى مشيّعاً؟!).

هكذا يجب أن يكون الشيعة؛ أن يتّبعوا علياً- عليه السلام -(في أعماله وأفعاله) ولا قدرة لنا طبعاً أن نكون مثلَه (يعني أن نصل إلى مقامه ومنزلته). لا أحد يمتلك هذه القدرة، لكن (بالإمكان أن) نتّبعه في الزهد والتقوى والانتصار للمظلومين ومساعدة الفقراء»[٢].

---

(١) الكافي، الكليني، ج٢، ص٧٥.

(٢) صحيفة نور، ج٨،ص١٩.

ومن خطبة للإمام عليّ عليه السلام: «**ألا وإنّ لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطِمريه (الثوب الخلق)، ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفّة وسداد**»[١].

أهوى أخيك معنا؟

فمن كان يمتلك هذه الخصائص ولديه هذا الحبّ فهو ممّن ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في معركة الجمل إذ سأله بعض أصحابه فقال: وددت أنّ أخي فلاناً كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك.

فقال له عليه السلام: «**أهوى أخيك معنا؟ فقال نعم، قال: «فقد شهدنا. ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الإيمان**»[٢].

إنّ الجواب من الإمام عليه السلام فيه أمل المحبّ ومنية المريد إذ معناه أنّ من كان يحبّنا ويميل بقلبه إلينا فهو معنا ومشارك فيما صنعنا وشريك في أجرنا حتّى إن لم يكن معنا في مكاننا وزماننا.

ونحن نلاحظ تأكيد الإمام عليه السلام على الهوى، فإنّ من كان قلبه معه فهو مشارك في هذا المشهد، إذ لا فرق بين حاضر وغائب، ولا بين زمان ومكان، وقد أنبأ الإمام أنّه سيأتي رجال يرعف ويجود بهم الزمان بعد حين، تكون قلوبهم معنا، يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، وهؤلاء كأنّما هم حاضرون معنا في معركتنا هذه...

فالهوى هنا هوى من لو أدرك أمير المؤمنين عليه السلام لكان معه في جنده وحارب بين يديه وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معارك بدر وأحد وخيبر والأحزاب، بل كان

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٤٥.
(٢) م. ن، الخطبة ١٢.

ممّن نصر الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء ووقاه بنفسه الحتوف وحدّ السيوف.

نقول في زيارته عليه السلام: «**لبّيك داعي الله، إن كان لم يجبك بدني فقد أجابك قلبي وشعري وبشري ورأيي وهواي**»[١].

(١) كامل الزيارات، جعفر بن محمّد بن قولويه، ص٣٨٨.

مطالعة

عاشق الإمام عليّ عليه السلام مع أحد الحاقدين

قال الأصبغ بن نباتة: كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقضي بين الناس، إذ أقبل جماعة ومعهم أسود مشدود الأكتاف، فقالوا: هذا سارق يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: يا أسود أسرقت؟

قال: نعم يا مولاي.

قال: ويلك، أُنظر ماذا تقول. أسرقت؟ قال: نعم.

فقال له: ثكلتك أُمّك إن قلتها ثانية قطعت يدك، أسرقت؟

قال: نعم، فعند ذلك قال عليه السلام: اقطعوا يده، فقد وجب عليه القطع، قال: فقطعت يمينه، فأخذها بشماله وهي تقطر، فاستقبله رجل يقال له ابن الكوّاء فقال له: يا أسود مَنْ قطع يمينك؟

قال له: قطع يميني سيّد الوصيّين، وقائد الغرّ المحجّلين، وأولى الناس باليقين... خاتم الأوصياء لصفوة الأنبياء، القسور الهمام، والبطل الضرغام، المؤيّد بجبرئيل، والمنصور بميكائيل المبين، فرض ربّ العالمين، المطفي نيران الموقدين، وخير من نشأ من قريش أجمعين، المحفوف بجند من السماء، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على رغم أنف الراغمين، ومولى الخلق أجمعين.

قال: فعند ذلك قال له ابن الكوّاء: ويلك يا أسود، قطع يمينك وأنت تثني عليه هذا الثناء كلّه؟ قال: وما لي لا أثني عليه وقد خالط حبّه لحمي ودمي؟ والله ما قطع يميني إلاّ بحقّ أوجبه الله تعالى عليَّ.

قال ابن الكوّاء: فدخلت إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقلت له: يا سيّدي رأيت عجباً.

فقال: وما رأيت؟

قلت: صادفت الأسود وقد قطعت يمينه، وقد أخذها بشماله، وهي تقطر دماً، فقلت: يا أسود مَنْ قطع يمينك؟

فقال: سيّدي أمير المؤمنين، فأعدت عليه القول وقلت له: ويحك قطع يمينك، وأنت تثني عليه هذا الثناء كلّه؟ فقال: ما لي لا أثني عليه وقد خالط حبّه لحمي ودمي، والله ما قطعها إلاّ بحقّ أوجبه الله تعالى، فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى ولده الحسن وقال له: قم وهات عمّك الأسود.

قال: فخرج الحسن عليه السلام في طلبه فوجده في موضع يقال له: كندة، فأتى به إلى أمير المؤمنين، فقال: يا أسود، قطعت يمينك وأنت تثني عليَّ؟

فقال: يا مولاي يا أمير المؤمنين، وما لي لا أثني عليك وقد خالط حبّك لحمي ودمي؟ فوالله ما قطعتها إلاّ بحقّ كان عليَّ ممّا ينجي من عذاب الآخرة.

فقال عليه السلام: هات يدك، فناوله إيّاها، فأخذها ووضعها في الموضع الّذي قطعت منه، ثمّ غطّاها بردائه، وقام فصلّى عليه السلام ودعا بدعوات لم تردّ، وسمعناه يقول في آخر دعائه: آمين، ثمّ شال الرداء وقال: اتّصلي أيّتها العروق كما كنت.

قال: فقام الأسود وهو يقول: آمنت بالله وبمحمّد رسوله وبعليّ الّذي ردّ اليد بعد القطع، وتخليتها من الزند، ثمّ انكبّ على قدميه وقال: بأبي أنت وأُمّي يا وارث علم النبوّة[1].

وهذه القصّة تؤكّد قوله عليه السلام: لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني. وذلك أنّه قضى فانقضى على لسان النبيّ الأُمي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**يا عليّ لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك منافق**»[2].

(١) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ج٢، ص ٥٦١، ح١٩.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٥.

الفهرس

المقدّمة ٥

١- حكمة الاختبار ٧

الامتحان الإلهيّ سنّة خالدة ٩

لماذا الاختبار الإلهيّ؟ ١٠

الاختبار الإلهيّ عامّ ١١

طرق الاختبار ١٢

٢- كيد الشيطان ١٧

أخلاق الشيطان ١٩

خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ٢١

ما يساعد الشيطان على الإنسان ٢٢

٣- الشيطان أضعف ركناً ٢٧

ما يساعد الإنسان على الشيطان ٢٩

قصّة لطيفة ٣٠

إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً ٣٢

٤- اجتناب الشبهات ٣٥
من كلام له عليه السلام ٣٧
ازدواج الشخصية ٤٠
مثال لاجتناب الشبهات ٤١
قصص لاجتناب الشبهات ٤٢
قصّة أخرى ٤٢

٥- اتّباع الهوى وطول الأمل ٤٥
رغبات النفس لا تنتهي ٤٩
سدّ طرق الحرام ٤٩

٦- الوفاء توأم الصدق ٥٧
نقض العهد من الكبائر ٥٩
نقض العهد على نحوين ٦٠
خلف الوعد من صفات اليهود والمنافقين ٦٢
احترام المعاهدة ٦٣
فلسفة احترام العهد ٦٤

٧- لا تسألوا فوق الكفاف ٦٩
معنى القناعة ٧١
المجتمع الغربيّ والحرص ٧٢
آفات الحرص ٧٣
علاج الحرص والطمع (عدم القناعة) ٧٤
خاتمة ٧٥

٨- الأهل والعشيرة ٧٩
الإسلام دين التواصل ٨١
بين العصبية وصلة الرحم ٨٢
أسباب القطيعة ٨٣
خاتمة ٨٦

٩- معرفة الزمان وأهله ٨٩
أهمّيّة الزمن ٩١
معرفة الحاضر والمستقبل ٩٢
علم الأنبياء والأئمّة بزمانهم ٩٣
من أسباب نجاح غير المؤمنين ٩٥

١٠- ذكر الموت ٩٩
كيف نذكر ما نخاف؟ ١٠١
أسباب الخوف من الموت ١٠١
التهيّوء لساعة الموت ١٠٣
التفكّر بالموت ١٠٤
اكتشاف ما بعد الموت يحيي أمماً وأفراداً ١٠٦

١١- معرفة القرآن الكريم ١١١
فضل القرآن وعظمته ١١٣
اعتراف المفكّرين بعظمة القرآن ١١٥
العمل بالقرآن ١١٦
الإمام عليّ عليه السلام يحذّرنا ١١٧

١٢- محبّة أهل البيت عليهم السلام ١٢١

تمهيد ١٢٣

لماذا أمرنا الله سبحانه وتعالى بمحبّتهم عليهم السلام؟ ١٢٤

كيف تكون المحبّة؟ ١٢٦

الاقتداءُ بالإمام عليّ عليه السلام في جميع الأبعاد ١٢٧

أهوى أخيك معنا؟ ١٢٨

الفهرس ١٣٣